
أجاثا كريستي
الزائر الغامض



أجاثا كريستي

☐ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

☐ بيع من كتبها أكثر من **650** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

☐ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال


ISBN 9953-38-195-X
9 789953 381954

الزائر الغامض

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

الزائر الغامض

(46)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

المركز الدولي

للصحافة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه - لبنان

تلفون 00 961 9 212 666 فاكس 00 961 9 212 665

البريد الإلكتروني info@darmusic.net

www.darmusic.net

قام بعون الله الأستاذان / **فهمي أحمد محمد - شريف عبده غبد الرشيد**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

"لورانس ستين"

جلست "**سارة**" و"**لورانس ستين**" إلى مائدة في ركن النادي الليلي المزدحم ، كان الجو خانقا تملؤه سحب الدخان والبخار المتصاعد من الأنفاس وأطباق الطعام التي يشتهر بها النادي .

أخذت "**سارة**" تدخن وتنظر حولها ، قالت لـ"**لورانس**" :

– هل تعلم أن كثيرا من أصدقائي لا يوافقون على حضوري إلى مثل هذا المكان ؟ قال :

– وأسوأ من ذلك أنك تحضرين معي أنا .. ضحكت "**سارة**" وقالت :

– لماذا يحسبك الجميع خطرا يا "**لورانس**" ؟ هل أنت متخصص في التغرير بالفتيات البريئات ؟ قال :

– لا ، ولكنني واحد من الذين تطلق عليهم الجرائد (أصحاب الحفلات الماجنة) . قالت "**سارة**" :

– لقد سمعت حقا عن هذه الحفلات ، ماذا يحدث فيها ؟ قال :

– أيتها الفضولية الحسناء .. كل ما هنالك أنني رجل مبتكر .. أنا لا أطيق الشيء المألوف .. الحياة مليئة من المتع إذا كان عند المرء الشجاعة الكافية للإقدام. قالت "**سارة**" في حماس :

– هذا هو رأيي أيضا . قال "**لورانس**" :

– أنا لا أهتم كثيرا بالفتيات البريئات ، إنهن يزعجنني ، ولكنك مختلفة يا "**سارة**" . قالت "**سارة**" :

– هذا كلام منمق يا "**لورانس**" . أنا واثقة بأنك تنجح دائما في التأثير على كل فتاة . قال :

– يا عزيزتي لقد أخبرتك بأن الفتيات يضجرنني ، أما أنت فلا ، ولهذا فنحن نحتفل ، في صحتك .

رفع كأسه مشيرا إليها أن تشاركه النخب . شاركته "**سارة**" ولكنها قالت :

– ولكن ما سبب الاحتفال ؟ ما كل هذا الغموض؟ قال :

– لا غموض هناك ، لقد حصلت اليوم في المحكمة على الطلاق من زوجتي الثالثة ، إنني الآن حرتماما .. قالت "**سارة**" في دهشة :

– أوه ... قال :

– والآن .. ما رأيك ؟ قالت :

– في ماذا ؟ قال :

– لا تلعبي معي دور الفتاة البريئة ذات العينين الواسعتين، أنت تعرفين جيدا أنني .. أريدك ..

تجنبت "**سارة**" نظراته ، كان قلبها يدق في سرور .. لقد كان "**لورانس**" يثير كل حواسها . قالت :

– أنت تريد النساء كلهن يا "**لورانس**" .. قال :

– قليل منهن في هذه الأيام ، في هذه اللحظة لا أريد إلا أنت ..

ثم توقف عن الحديث لحظة وهو ينظر إليها، ثم قال بهدوء وكأنه يقرر أمرا مفروغا منه :

– سوف تتزوجينني يا "**سارة**" . قالت "**سارة**" :

– لا أريد أن أتزوج ، وأنت لابد أنك سعيد بحريتك وتريد أن تتمتع بها بدلا من الارتباط الجديد السريع بالزواج . قال :

– الحرية وهم كبير .. قالت ضاحكة :

– أنت لست زوجا مثاليا على العموم . كانت زوجتك الأخيرة شقية ، أليس كذلك ؟ قال في هدوء :

– إنها لم تكف عن البكاء طيلة الشهرين الأخيرين حتى تم الطلاق . قالت :

– لأنها كانت تحبك ؟ قال :

– هذا ما يبدو ، لقد كانت امرأة غبية . قالت :

– ولماذا تزوجتها إذن ؟ قال :

– عندما رأيتها لأول مرة شعرت بأنها مثل الملاك الطاهر ، ولكن الزواج

والمعاشرة جعلاني أزهد الملائكة . قالت "**سارة**" :

– أنت شيطان قاسٍ . . قال :

– وهذا ما يجذبك إليّ . . لو أنني كنت شابا جادا مستقيما لما فكرت فيَّ مرتين . قالت :

– أنت صريح على الأقل . قال :

– هل تريدين حياة خاملة أم مثيرة ؟

لم تجب "**سارة**" في الحال . تشاغلت بإطفاء سيجارتها ثم قالت :

– وزوجتك الثانية . . "**مويرا دينهام**" . . ماذا عنها ؟ ابتسم ابتسامة وحشية ثم قال :

– كانت فتاة ساذجة أحبتني وقد حطمت قلبها. قالت :

– أنتَ متخصص في تحطيم قلوب الزوجات . قال :

– تأكدي أنني لم أحطم قلب زوجتي الأولى ، لقد هجرتني؛ لأنها كانت امرأة ذات أخلاق حميدة .

الحقيقة يا "**سارة**" أن المرأة لا تقنع بأن تتزوج الرجل وترضى به كما هو . إنها تريد دائما أن تغير الرجل إلى صورة ترضيها هي ، يجب أن تعترفي يا "**سارة**" بأني لا أحاول إخفاء شخصيتي الحقيقية عنك . . أنا رجل عديم الأخلاق ولا أتظاهر بعكس ما أنا عليه .

ثم خفض صوته وقال في إغراء :

– إني أستطيع أن أمنحك الكثير يا "**سارة**" ، لا أقصد المال فقط أو ما يمكن أن يجلبه المال من فراء وجواهر ، أقصد أني أستطيع أن أجعلك تشعرين بالحياة . .

كانت "**سارة**" تنظر إليه وهي نصف غاضبة ونصف مسحورة ، مال نحوها وقال :

– ماذا تعرفين عن الحياة حقا يا "**سارة**" ؟ لا شيء . . أقل من لا شيء. أنا أستطيع أن أقودك إلى أماكن لم تحلمي قط بوجودها ، أماكن غريبة مخيفة سوف ترين الحياة فيها تجري في عنف ووحشية . .

ثم ضيق عينيه وهو يشاهد تأثير كلماته عليها، وقال فجأة بمرح متعمدا أن يزيل الجو الساحر الذي خلفته كلماته :

– حسنا .. هيا بنا من هنا .. سوف أصطحبك إلى منزلك .

وجلست "**سارة**" بجواره في ظلام عربته الفخمة وهي تشعر بالتوتر والرهبة. ولكنه لم يحاول حتى أن يلمسها ، وفي أعماقها كانت "**سارة**" تشعر بخيبة أمل؛ لأنه لم يلمسها .

وفي أعماقه كان "**لورانس**" يبتسم؛ لأنه كان يدرك خيبة أملها ، وكان ذلك جزءا من التكتيك الذي يتبعه مع النساء .

صحبها إلى شقتها وفتحت "**سارة**" الباب بالمفتاح ثم دخل الاثنان إلى حجرة الاستقبال حيث أضاءت "**سارة**" النور وقالت :

– هل لك في شراب يا "**لورانس**" ؟ قال :

– شكرا لك يا "**سارة**" ، طبت مساء .. واستدار خارجا فنادته. وكان هو واثقا بأنها سوف تناديه .

وقف بجوار الباب ورأسه مائل فوق كتفه . قالت "**سارة**" :

– أنا أعتقد .. قال :

– ماذا ؟ قالت في سرعة واضطراب :

– الحقيقة يا "**لورانس**" أنني .. لا أشعر بأني أحبك.. قال في هدوء :

– حقا ؟ وساعدت نبرات صوته على زيادة اضطرابها فقالت في انفعال :

– لا .. ليس حقا .. أقصد أنك لو فقدت كل ثروتك ذهبت لزراعة البرتقال في مكان ما فإنني لن أذكرك أبداً . قال :

– هذا هو عين العقل .. قالت :

– ألا يقنعك هذا بأني لا أحبك ؟ قال :

– لا يزعجني شيء مثل الإخلاص في الحب ، أنا لا أريد ذلك منك يا "**سارة**" . قالت :

– إذن ماذا تريد ؟

كان سؤالا طائشا ولكنها شعرت بأنها لابد أن تسأل هذا السؤال ، شعرت بأنها لابد من أن تستمر . شعرت بأنها تريد أن ترى إلى أي مدى يتقدم "**لورانس**" .

اقترب منها "**لورانس**" في هدوء وفجأة انحنى وقبل عنقها ثم ضمها إلى صدره . حاولت أن تبتعد ولكنها عجزت .. وأخيرا استسلمت وتلاحقت أنفاسها، وبعد لحظات أطلق سراحها . قال :

– عندما تقولين إنك لا تحبينني يا "**سارة**" فأنا أعلم أنك كاذبة . ثم خرج وتركها واقفة ترتجف .

- 2 -

كانت "**آن**" قد عادت قبل عودة "**سارة**" و"**لورانس**" بساعة ، وأزعجها أن قابلتها "**أديث**" خارجة من حجرة نومها. وكانت في الشهور الأخيرة قد بدأت تشعر بأن "**أديث**" امرأة مزعجة للغاية . قالت "**أديث**" :

– لم تعد الآنسة "**سارة**" بعد . قالت "**آن**" في حدة :

– وماذا في ذلك ؟ قالت "**أديث**" :

– الوقت متأخر جدا وهي لا تزال شابة صغيرة . قالت "**آن**" :

– كفى سخفا يا "**أديث**" .. الزمن قد تغير كثيرا . الفتيات الآن قادرات على رعاية أنفسهن . قالت "**أديث**" :

– لم يكن الحال هكذا عندما كنت أنت شابة في سن "**سارة**" . كانت الفتيات بريئات لا يفعلن شيئا بدون مشورة أمهاتهن . ولكن ما دام يرضيك حال الآنسة "**سارة**" فلا شأن لي إذن إلا أن أقول لك إن هذا الشاب "**لورانس ستين**" شخص سيئ . أنا واثقة بذلك؛ لأن شابا مثله تماما هو الذي غرر بأختي "**نورا**" ، ولم يكن هناك فائدة في البكاء بعد وقوع المحظور .

ابتسمت "**آن**" على الرغم منها ، "**أديث**". وأقاربها الذين لا ينتهون .. قالت :

– كفاك كلاما وعودي إلى سريرك . هل أحضرت الحبوب المنومة التي طلبتها

منك ؟ فزمجرت "**أديث**" :

– تجدينها بجوار سريرك ، ولكني أحذرك من التعود على هذه الحبوب ، سوف يأتي وقت لا تستطيعين فيه النوم بدونها، فضلا عن تأثيرها على أعصابك التي لم تعد تحتمل شيئا في هذه الأيام . قالت "**آن**" في وحشية :

– أعصابي ؟ أعصابي بخير تماما ..

ذهبت "**آن**" إلى حجرتها غاضبة .. ها هي "**أديث**" تتحول إلى كابوس مزعج.. « ما الذي يجعلني أحتملها ؟ أعصابي ؟ أنا لست عصبية . أعصابي بخير ، كل ما هنالك هو أني أصاب بالأرق ، هذا شيء طبيعي ، جميع الناس يعانون الأرق » .

ما العيب في أن يقاوم الإنسان الأرق بالحبوب المنومة ؟ يا إلهي .. ما أكثر الإزعاج الذي تلاقيه من الجميع .. من " **سارة**" و"**أديث**" . حتى "**لورا**" العزيزة.. كانت "**لورا**" واحدة من أقدم صديقاتها . كانت تحبها جدا ولكنها أخيرا لم تعد تحتمل الكلام معها .

"**سارة**" و"**لورانس ستين**" .. هل هنالك خطأ ما في علاقتهما ؟ إن الفتيات يولعن دائما بالخروج مع رجل سيئ السمعة ... من المؤكد أنها ليست علاقة جادة وحتى إذا كانت جادة ..

وشيئا فشيئا بدأ تأثير الحبوب المنومة يؤدي مفعوله، ونامت "**آن**" نوما تتخلله الأحلام المزعجة .

في الصباح كانت "**آن**" في سريرها تشرب القهوة عندما رن جرس التليفون فجأة وكانت المتحدثة "**لورا ويتستابل**" . قالت "**لورا**" :

– "**آن**" .. هل تخرج "**سارة**" مع "**لورانس ستين**" كثيرا ؟

قالت "**آن**" :

– يا إلهي يا "**لورا**" .. هل لابد من أن تطلبيني في هذا الوقت المبكر لتسأليني هذا السؤال ؟ كيف لي أن أعرف ؟ قالت "**لورا**" :

– أنت أم الفتاة ، أليس كذلك ؟ قالت "**آن**" :

– بلى . ولكنني لا أراقبها وأتعقبها في كل مكان تذهب إليه . قالت "**لورا**" :
– لا تغضبي مني يا "**آن**" ... ولكنك تعرفين أن "**لورانس**" هذا يحاول الإيقاع بـ"**سارة**" . قالت "**آن**" :
– لا أظن ذلك . لا أظن حتى أنه حصل على الطلاق من زوجته الثالثة . قالت "**لورا**" :
– بل لقد حصل عليه بالأمس .. ماذا تعرفين عنه ؟ قالت "**آن**" :
– إنه ابن السيد "**هنرك ستين**" . وهو يسبح في النقود . قالت "**لورا**" :
– وماذا عن سمعته السيئة ؟ قالت "**آن**" :
– هذا شيء تحبه الفتيات ولكن لا تأثير له على العموم . قالت "**لورا**" :
– إني أريد أن أقابلك وأتحدث إليك يا "**آن**" . هل أنت في المنزل هذا المساء؟ قالت "**لورا**" :
– سوف أحضر مبكرة السادسة مثلا ... قالت "**آن**" بسرعة :
– لا . سوف أغادر المنزل . ثم أردفت :
– آسفة يا "**لورا**" ولكنني مدعوة إلى حفل كوكتيل .. قالت "**لورا**" :
– سوف أحضر في الخامسة إذن أم لعلك تفضلين أن أحضر الآن؟
قالت "**آن**" مستسلمة :
– في الخامسة مساء إذن .

ثم أعادت السماعة وهي تقول لنفسها :« إني لا أريد أن أرى "**لورا**" في منزلي باستمرار » .

ولكنها استقبلتها وعلى وجهها كل دلائل السرور عندما جاءت "**لورا**" في الخامسة تماما . ثم جلست الصديقتان في حجرة الاستقبال وأحضرت لهما "**أديث**" الشاي وتحدثت "**آن**" بسرعة ومرح مصطنع . أما "**لورا**" فإنها كانت تصغي دون أن تقاطع صديقتها .

ثم فرغت الصديقتان من تناول الشاي ووضعت "**لورا**" فنجانها فوق الصينية واعتدلت في جلستها .

ثم قالت بصوتها العميق وطريقتها المباشرة :

– أنا آسفة لإزعاجك يا "**آن**" ولكني سمعت في أثناء عودتي من "**الولايات المتحدة**" في الطائرة حديثا بين رجلين عن "**لورانس ستين**" . وما قالاه كان كلاما فظيعا .

هزت "**آن**" كتفيها وقالت :

– إن الشائعات .. قاطعتها "**لورا**" :

– هي الوجه الآخر للحقيقة . وهذان الرجلان كانا سيدين محترمين . وهناك أيضا "**مويرا دينهام**" التي كانت زوجة "**لورانس**" الثانية . لقد عرفتها قبل أن تتزوجه وبعد أن طلقته . صارت حطاما آدميا ... قالت "**آن**" :

– هل تعنين أن "**سارة**" قد .. قاطعتها "**لورا**" مرة أخرى :

– أنا لا أقصد أن "**سارة**" قد تصير حطاما آدميا إذا تزوجت "**لورانس ستين**" . إن "**سارة**" فتاة ناضجة العقل والصحة . قالت "**آن**" :

– إذن ماذا تقصدين ؟ قالت "**لورا**" :

– أقصد أنها سوف تكون تعيسة جدا . هل قرأت في الجرائد عن مأساة فتاة اسمها "**شيلافون رايت**" ؟ قالت "**آن**" :

– أعتقد أنني قرأت شيئا عنها .. لقد كانت مدمنة مخدرات أليس كذلك ؟ أجابت "**لورا**" :

– بلى . وكانت أيضا صديقة "**لورانس ستين**" وتعلمت منه إدمان المخدرات . ما أريد أن أقوله يا "**آن**" هو أن "**لورانس ستين**" إنسان فاسد، هذا إذا لم تكوني تعرفين ذلك من قبل . قالت "**آن**" :

– أعلم أن هناك لغطا حوله ، ولكن ماذا في إمكاني أنا أن أفعل ؟ إني لا أستطيع أن أمنع "**سارة**" من الخروج معه ، وإذا حاولت فإنها سوف تتشبث به أكثر . أنت تعرفين أن الممنوع دائما مرغوب . وعموما أنا لا أتصور أهمية لذلك الموضوع، كل ما في الأمر أن "**لورانس**" معجب بـ"**سارة**" ، و"**سارة**" سعيدة بهذا الإعجاب ، ولا أدري لماذا تفترضين أنه يريد أن يتزوجها ..

قالت "**لورا**" :

– أنا واثقة بأنه يريد أن يتزوجها . إنه من هواة جمع الأشياء الجميلة . قالت "**آن**" :

لا أفهم مقصدك .. قالت "**لورا**" :

– أنا أتكلم عن نوع من الرجال ، أسوأ الأنواع في الواقع . إنه يجمع النساء كما يجمع الإنسان الفراشات أو طوابع البريد . والآن لنفرض أنه عرض عليها الزواج فماذا يكون شعورك ؟ قالت "**آن**" في مرارة :

– وما قيمة شعوري ؟ الفتيات اليوم يفعلن ما يحلو لهن، ويتزوجن بمن يرغبن. قالت "**لورا**" :

– ولكن لك تأثيرا عميقا على "**سارة**" . قالت "**آن**" :

– لا يا "**لورا**" . أنت مخطئة . إن "**سارة**" مستقلة تماما في شؤونها وأنا لا أتدخل قط .

حملقت إليها "**لورا**" دهشة ثم قالت :

– لم أعد أفهمك يا "**آن**" .. ألا يزعجك أن تتزوج "**سارة**" بذلك الرجل ؟

أشعلت "**آن**" سيجارة ثم جذبت منها عدة أنفاس سريعة وقالت في عصبية :

– لا أعتقد أن "**لورانس ستين**" زوج سيئ .. إنه رجل ثري ... قالت "**لورا**" :

– ولكن ذلك لا يضمن سعادة "**سارة**" . قالت "**آن**" :

– لعلك لا تدركين إذن أن "**سارة**" تحب الترف والرفاهية . إنها تحب الثياب والجواهر أكثر مني . قالت "**لورا**" :

– ولكنها لن تتزوج لمجرد هذا السبب . قالت "**آن**" :

– على العموم أنا لا أعتقد أنها شغوف جدا بـ"**لورانس**" . قالت "**لورا**" :

– إذن أنت ترين أنه ليس هناك ما يمكن عمله بخصوص "**لورانس ستين**" ؟ قالت "**آن**" :

– أنا على الأقل لا يمكنني عمل أي شيء . لماذا لا تتحدثين إليها أنت ؟ قالت "**لورا**" :

– إنني أمها في العماد فقط وأعرف حدودي . قالت "**آن**" في غضب :

– هل تقصدين أنه لابد لي من أن أكلمها ؟ قالت "**لورا**" :

– لا . . قد لا يجدي الكلام . . قالت "**آن**" :

– هل تقصدين أن أفعل شيئا ؟ قالت "**لورا**" :

– ليس ذلك من الضروري ؟ قالت "**آن**" في حنق :

– إذن ماذا تقصدين ؟ قالت "**لورا**" :

– إن ما يدور في رأسك لايدور دائما في مكان أبعد من رأسك . قالت "**آن**" :

– في رأسي ؟ لا شيء يدور في رأسي . . لا شيء على الإطلاق. قالت "**لورا**" :

– وهذا ما كنت أخشاه . قالت "**آن**" :

– أنا لا أفهم حرفا واحدا من كلامك . زفرت "**آن**" في ضيق وقالت :

– إذا كنت تريدين التحدث عن سخافات العقل الباطن . . يا إلهي يا "**لورا**" يبدو أنك تتهمينني بشيء ما . . .

قالت "**لورا**" :

– أنا لا أتهمك بشيء . قالت "**آن**" في عصبية وأخذت تذرع الحجرة وهي تتكلم :

– أنا لا أعرف ماذا تقصدين . . أنا أعشق "**سارة**" . . أنت تعرفين مدى حبي لها . .أنا . . لقد ضحيت بكل شيء في سبيلها . . قالت "**لورا**" في هدوء :

– أنا أعرف أنك أقدمت على تضحية عظيمة من أجلها منذ عامين . قالت "**آن**" في حدة :

– حسنا . . ألا يقنعك هذا ؟ قالت "**لورا**" :

– يقنعني بماذا ؟ قالت "**آن**" :

– يقنعك بمدى حبي لـ"**سارة**" . . قالت "**لورا**" :

– عزيزتي "**آن**" . . أنا لم أقل إنك لا تحبين "**سارة**" . . أنت تدافعين عن نفسك بدون هجوم . ثم نهضت وهي تقول :

– يجب أن أذهب الآن . لعل قدومي لم يكن من الحكمة على الإطلاق .
صحبتها "**آن**" إلى باب الشقة وهي تقول :

– كما ترين . . . الأمر كله غير واضح . . قالت "**لورا**" :

– نعم . . نعم . . ثم نظرت إلى صديقتها نظرة غريبة وقالت :

– أتعرفين يا "**آن**" ما عيب التضحية؟ عيبها هو أنها تنتهي بمجرد الإقدام عليها . يجب أن تستمر إلى الأبد .

نظرت إليها "**آن**" في ذهول وقالت :

– ماذا تعنين يا "**لورا**" ؟ قالت "**لورا**" :

– لا شيء يا عزيزتي . . فليباركك الله . وإذا شئت أن أنصحك فإنني أقدم لك نصيحة واحدة . . لا تعيشي حياة سريعة تمنعك من التفكير .

ضحكت "**آن**" وقد استعادت مرحها الضائع . قالت :

– سوف أجلس كثيرا وأفكر كثيرا عندما أصل إلى السن التي أعجز فيها عن أي شيء إلا التفكير .

ثم تبادلت الصديقتان قبلة سريعة وخرجت "**لورا**" !!

صعدت "**آن**" إلى حجرتها وجلست أمام المرآة حيث أخذت تتزين بعناية فائقة، وفي أثناء ذلك سمعت جرس الباب الخارجي فأدركت أنه ساعي البريد فهتفت:

– "**أديث**" . . هل هناك خطابات لي ؟ أجابت "**أديث**" بعد لحظات :

– لا شيء إلا فواتير وخطاب للآنسة "**سارة**" من "**جنوب إفريقيا**" . وعادت "**آن**" إلى زينتها .

- 3 -

عادت "**سارة**" من الخارج ودخلت حجرة الاستقبال ورأت صينية الشاي ، وقالت لـ"**أديث**" التي دخلت الحجرة في هذه اللحظة :

– هل كان عندنا ضيوف ؟ قالت "**أديث**" :

– نعم . الآنسة "**لورا ويتستابل**" . قالت "**سارة**" في دهشة :

– "**لورا**" ؟ ثانية ؟ لقد كانت هنا بالأمس .. قالت "**أديث**" :

– وماذا في ذلك ؟ ثم حملت الصينية وخرجت .

جاءت "**آن**" إلى الحجرة فسألتها "**سارة**" :

– ماما .. لماذا جاءت "**لورا**" اليوم ؟ قالت "**آن**" بعد تردد قصير :

– لقد جاءت لتطلب مني أن أمنعك من الخروج مع "**لورانس ستين**"

ضحكت "**سارة**" وقالت :

– يا لها من امرأة عتيقة التفكير ! هل تخشى أن يأكلني "**لورانس**" ؟ قالت "**آن**" :

– هذا ما يبدو، والظاهر أيضا أن "**لورانس**" له سمعة سيئة . قالت "**سارة**" في عدم اكتراث :

– كل إنسان يعرف هذا . ولكن ما هذا ؟ خطاب لي ؟

تناولت "**سارة**" الخطاب وحدقت بذهول إلى طابع بريد "**جنوب إفريقيا**" .

قالت "**آن**" :

– إن "**لورا**" تعتقد أنني يجب أن أمنعك من الخروج مع "**لورانس**" ؟ قالت "**سارة**" في مرح :

–كيف تمنعينني يا ماما ؟ قالت "**آن**" في انتصار :

– هذا ما قلته لها . الأمهات عاجزات تماما في هذا العصر .

فضت "**سارة**" الخطاب وجلست في مقعد وأخذت تقرؤه .

استمرت "**آن**" تقول :

– أخشى أن السن قد تقدمت بـ"**لورا**" إلى درجة أنها أصبحت منعزلة تماما عن أفكار هذا الجيل .. إنني أعترف بأنني لست سعيدة بخروجك مع "**لورانس**" ولكني في الوقت نفسه أثق بحكمة تصرفاتك.

غمغمت "**سارة**" وهي مستغرقة في قراءة الخطاب :

– بالتأكيد يا ماما .. قالت "**آن**" :

– أحب أن تعرفي أنك حرة تماما في اختيار أصدقائك ..

دق جرس التليفون . رفعت "**آن**" السماعة ..

– هالو .. نعم .. نعم .. أنا السيدة "**برنتيس**" .. من ؟ آسفة لم أسمع اسمك جيدا، "**كولدفيلد**" ؟

أوه .. أوه .. ما أغباني .. أهذا أنت يا "**ريتشارد**" ؟ نعم .. لقد مضى وقت طويل .. هذا بديع جدا منك ، ذلك يسعدني جدا .. ما أخبارك ؟ ماذا ؟ حقا؟ تقبل تهاني المخلصة . أنا واثقة بأنها رائعة الجمال . نعم .. سوف يسعدني لقاؤها .

مشت "**سارة**" إلى الباب وهي لا ترى طريقها بسبب الدموع التي كانت تملأ عينيها ، أما الخطاب فقد كان مكورا في يدها .

واستمرت "**آن**" تتحدث في التليفون :

– غدا ؟ لا أدري . يجب أن أراجع دفتر مواعيدي... "**سارة**" .. "**سارة**" .. استدارت "**سارة**" وهي عند الباب وقالت :

– نعم ؟ قالت "**آن**" :

– أين دفتر مواعيدي ؟ قالت "**سارة**" :

– دفتر مواعيدك ، لا أدري .. قالت "**آن**" في تبرم :

– ابحثي عنه . لابد أنه في مكان ما . أسرعي يا حبيبتي..

خرجت "**سارة**" ثم عادت بعد لحظة ومعها دفتر المواعيد . قالت :

– ها هو الدفتر يا ماما .. أخذت "**آن**" الدفتر وأخذت تقلبه بسرعة ثم قالت في التليفون :

– آلو .. "**ريتشارد**" .. أخشى أن مواعيدي مزدحمة في الأيام التالية .. لماذا لا تحضران الآن ؟ هذا بديع .. سوف أكون في انتظاركما ..

ثم وضعت السماعة ووقفت شاردة .. سألتها "**سارة**" دون اهتمام :

– من كان هذا يا ماما ؟ ولم تنتظر الإجابة وإنما استطردت :

– لقد كان ذلك الخطاب من "**جيري**" .. أفاقت "**آن**" من شرودها ثم قالت لـ"**سارة**" :

– أسرعي إلى "**أديث**" واطلبي إليها أن تحضر الأقداح وزجاجات الشراب . إنهما قادمان الآن .. قالت "**سارة**" :

– من هما ؟ قالت "**آن**" :

– لقد كان المتحدث هو "**ريتشارد كولدفيلد**" . قالت "**سارة**" :

– من "**ريتشارد كولدفيلد**" ؟ شعرت "**آن**" بغضب أعجزها عن النطق لحظات . وأخيرا تمالكت نفسها وقالت :

– لقد نسيت حتى مجرد اسمه . . . أليس كذلك ؟

قالت "**سارة**" : هل سبق لي أن قابلته ؟ ذكريني به .. من هو ؟ قالت "**آن**" :

– "**ريتشارد كولدفيلد**" ..

تذكرت "**سارة**" فجأة . هتفت :

– ماذا ؟ أوه .. ما أغرب أن يظهر لنا ثانية ! هل لا يزال يطاردك يا ماما ؟ قالت "**آن**" :

– لا .. لقد تزوج . قالت "**سارة**" في مرح :

– حمدا لله . ترى ما شكل زوجته ؟ قالت "**آن**" :

– إنه سوف يصحبها معه الآن لزيارتنا ..

ثم أخرجت "**آن**" المرآة الصغيرة من حقيبتها وتأملت وجهها ثم سألت :

– كيف أبدو يا "**سارة**" ؟ قالت "**سارة**" :

– تبدين جميلة جدا . ماما .. قلت لك إن ذلك الخطاب من "**جيري ليولد**" .. قالت "**آن**" في لا مبالاة :

– حقا ؟ قالت "**سارة**" :

– نعم . لقد صادف نحسا في زراعة البرتقال بعد كفاح عامين واضطر في النهاية أن يبيع ما تبقى لديه من أشجار البرتقال . قالت "**آن**" مرة ثانية :

– حقا ؟ ولكني أعترف أن فشله لا يدهشني . قالت "**سارة**" :

– لماذا ؟ أجابت "**آن**" :

– لأن "**جيري**" شاب سيئ الحظ دائما . قالت "**سارة**" :

– لم يكن ذلك خطأه .. قالت "**آن**" :

– ربما، ولكنه سوف يستمر إلى الأبد ملازما لسوء الحظ . قالت "**سارة**" :

– هل تعتقدين يا ماما أن "**جيري**" حقا لن ينجح في حياته ؟ قالت "**آن**" :

– ذلك شيء مستبعد جدا .

قالت "**سارة**" :

– ولكني مؤمنة به إلى حد بعيد . إنه يقول في خطابه إنه ذاهب إلى "**كينيا** " مع شريكه حيث يتاجران في السيارات . قالت "**آن**" في عطف مفاجئ :

– اسمعي يا "**سارة**" .. لو كنت مكانك لاستبعدت "**جيري ليولد**" هذا من تفكيري نهائيا . قالت "**سارة**" في ألم :

– حقا ؟ دق جرس الباب فقالت "**آن**" :

– هاهما ضيفانا قد وصلا .. ثم وقفت مستندة إلى حافة المدفأة وعلى وجهها ابتسامة عريضة .

الزواج

دخل "**ريتشارد كولدفيلد**" الحجرة خلف زوجته الشابة "**دوريس**" ، واستقبلتهما "**آن**" وهي تشعر كأنها تمثل دورا في مسرحية . هتفت :

– "**ريتشارد**" ، ما أسعدني بلقياك من جديد .. وهذه زوجتك .

تصافح الثلاثة في جو من الحرارة المصطنعة التي كانت تخفي خلفها أفكارا أخرى .

كان "**ريتشارد**" يقول لنفسه :« رباه .. كم تغيرت .. ما كنت لأعرفها لو أنني قابلتها مصادفة .. لا لا . الحمد الله أنني لم أتزوجها .. ما كانت لتصلح لي قط » .

وشعر بأنّه سعيد الحظ حقا؛ لأنه تزوج "**دوريس**" ولم يتزوج "**آن**" . كانت "**دوريس**" أكثر شبابا وجمالا . صحيح أنها لم تكن من طبقته الاجتماعية ،

وصحيح أيضا أنها كانت تسبب له إزعاجا في أحيان كثيرة ، وصحيح أن أصدقاءها لا حصر لهم ، وصحيح أن كل هذا يخالف ما كان يحلم به في الزوجة المثالية ولكنها أعادته إلى ربيع الحياة . وهذا يكفيه الآن .

أما "**دوريس**" التي كانت صاحبة الفكرة في هذا اللقاء فإنها كانت تقول لنفسها :« رباه .. إنها عجوز جدا .. » .

ولكنها تأثرت رغما عنها بجو الترف الذي يحيط بها وبمنظر الثياب الغالية التي كانت ترتديها "**آن**" وابنتها الجميلة "**سارة**" . وشعرت بفخر؛ لأنها تزوجت بالرجل الذي كان سوف يتزوج بهذه المرأة الأرستقراطية .

الذي تأثر حقا من هذا اللقاء هو "**آن**" . لقد أصبح "**ريتشارد**" غريبا عنها . وليس ذلك فقط بل إنها أيضا أصبحت غريبة عنه . لقد سار كل منهما في طريق مختلف ولن يحدث لقاء بينهما بعد ذلك أبداً . إنها حتى لم تعد تجد "**ريتشارد**" الحساس الخجول العصبي الطيب القلب الذي أحبته يوما ما ، فالرجل الماثل أمامها رجل مرح متعاظم نوعا ولكنه زوج إنجليزي عادي مثل ملايين الأزواج . لقد تزوج بتلك الطفلة التي لا تتميز بأي مواهب ذهنية أو عاطفية فيما عدا جسدها الجميل وجاذبيتها الجنسية الواضحة . تزوجها؛ لأن "**آن**" رفضت أن تتزوجه .

ثم تنهدت "**آن**" ... ربما كان ذلك من حسن حظ الجميع .

أحضرت "**سارة**" المشروبات وقدمتها للجميع وشاركتهم الشراب وهي تفكر: « رباه .. ما أسخف ذلك الرجل وتلك المرأة التي معه! » .

قال "**ريتشارد**" مشيرا إلى أثاث الحجرة :

– لقد غيرت أثاث الحجرة تماما فيما أرى . وقالت "**دوريس**" :

– إنه أثاث رائع وديكور رائع . لابد أنه كلفك مبلغا باهظا . ماذا كان شكل الأثاث القديم ؟

أجاب "**ريتشارد**" :

– كان أثاثا من الطراز القديم لونه وردي .

عـاودته ذكـرى المنظر القـديم الهـادئ والمدفـأة مـشـتـعلة وهو و"**آن**" جـالـسـان بالقرب من المدفأة . قال :

– الحق أن الأثاث القديم كان أجمل . قالت "**دوريس**" :

– إن الرجـال يتـعلقـون بالمظاهر القـديمة دائمـا ، أليس كـذلـك يا سـيـدة "**برنتيس**" ؟ قال "**ريتشارد**" :

– إن "**دوريس**" تحاول دائمـا أن تجلب إلى منزلنا كل شيء حـديث . هتـفت "**دوريس**" :

– بالتأكيد يا عزيزي . لا تظن أنني سوف أتركك تتحول إلى رجل عجوز قبل الأوان .ألا تظنين أنه يبدو أكثر شبابا عما كان عندما كنت تعرفينه يا سيدة "**برنتيس**"؟ قالت "**آن**" وهي تتجنب النظر إلى "**ريتشارد**" :

– إنه يبدو في صحة جيدة . قال "**ريتشارد**" :

– إنني ألعب الجولف . قالت "**دوريس**" :

– لقد وجدنا منزلا بالقرب من "**بيزنج هيث**" .. المواصلات ممتازة بينه وبين "**لندن**" وهناك أيضا ساحة للجولف، ولو أنها تزدحم جدا في نهاية الأسبوع .

قالت "**آن**" : إن العثور على المنزل الملائم أصبح معجزة في هذه الأيام . ولكن هل للمنزل حديقة ؟ قال "**ريتشارد**" :

– لا في نفس اللحظة التي قالت فيها "**دوريس**" نعم .

ونظرت إليه "**دوريس**" في لوم . قالت :

– كـيف تقـول ذلك يا عـزيزي بعـد كل مـا صنعناه في الحـديقـة ؟ قـال "**ريتشارد**" :

– حسنا . . . هناك ممشى حول المنزل . .

تقابلت عينا "**آن**" و"**ريتشارد**" .. تذكر الاثنان حلمهما القديم عن الحديقة التي ينشئانها عندما يعيشان في الريف .. حديقة مليئة من أشجار الفاكهة ومحاطة بشجيرات الأزهار . .

تحول "**ريتشارد**" إلى "**سارة**" وقال :

– حسنا يا فتاتي . ماذا تصنعين بنفسك هذه الأيام ؟ هل تختلفين إلى حفلات كثيرة صاخبة ؟

ضحكت "**سارة**" في مرح وقالت لنفسها «لقد نسيت مدى سخف ذلك الرجل . أنا واثقة الآن بأنني أنقذت ماما منه» . قالت بصوت عال :

– نعم . . ولكني أحرص على ألا أمضي ليلتي في السجن بسبب السكر إلا مرة أو مرتين في الأسبوع . قال "**ريتشارد**" :

– الفتيات يشربن كثيرا في هذه الأيام وذلك يفسد بشرتهن ، ولكن بشرتك جميلة جدا يا "**سارة**" . قالت "**سارة**" في عذوبة :

– لقد كنت دائما أهتم بمساحيق وجهي . ثم اتجهت إلى "**دوريس**" قائلة : دعيني أقدم لك مشروبا آخر . قالت "**دوريس**" :

– شكرا لك يا آنسة "**برنتيس**" . لا . لا أستطيع . إن الشراب يصعد إلى رأسي بسهولة . ما أجمل هذا المشرب ! قالت "**آن**" :

– إنه مفيد جدا . قال "**ريتشارد**" :

– ألم تتزوجي بعد يا "**سارة**" ؟ أجابت "**سارة**" :

– كلا . ولكني لم أفقد الأمل بعد . قالت لها "**دوريس**" في حسد : أ

– عتقد أنك تقضين وقتا رائعا في النوادي الليلية . ثم تحولت إلى "**آن**" وقالت لها : هل تعرفين يا سيدة "**برنتيس**" أنك تختلفين كثيرا عن الصورة التي تخيلتها لك ؟ قالت "**آن**" :

–كيف تخيلتني ؟ وقالت "**دوريس**" :

– ولكن الرجال بالتأكيد أغبياء عندما يصفون امرأة . قالت "**آن**" :

– وكيف وصفني "**ريتشارد**" ؟ قالت "**دوريس**" :

– أوه . . لا أدري . . لا أذكر كلماته بالتحديد ولكني أذكر الانطباع الذي خرجت به من كلامه . . لقد تخيلتك امرأة ضئيلة مثل الفأر الذي يحب دائما أن يختفي بعيدا عن الناس . قالت "**آن**" ضاحكة :

– الفأر الذي يحب دائما أن يختفي ؟ ما أبشع هذه الصورة . .

قالت "**دوريس**" :

– أوه .. أنت تعرفين كيف تجري هذه الأمور .. في بعض الأحيان أجد "**ريتشارد**" صامتا على غير العادة فأغيظه بأن أتهمه بأنه يفكر فيك.

وحدثت "**آن**" نفسها :

« هل تفكر في يا "**ريتشارد**" ؟ هل تفكر فيَّ حقا ؟ لا أصدق ذلك . لابد أنك تحاول ألا تفكر في كما أحاول أنا ألا أفكر فيك » .

قالت "**دوريس**" :

– لابد أن تزورينا يوما يا سيدة "**برنتيس**" . قالت "**آن**" :

– شكرا لك . سوف أزوركما بدون شك . وسوف يسعدني ذلك.

قال "**ريتشارد**" :

– أرى أنك مازلت تحتفظين بخادمتك القديمة "**أديث**" يا "**آن**" .قالت "**آن**" :

– بالتأكيد . فأنا لا أدري ماذا أفعل بدونها .

قال "**ريتشارد**" :

– إنها طاهية بارعة ، ولست أنسى الأصناف البديعة التي كانت تصنعها .

حلت لحظة صمت .. طافت الذكرى على "**آن**" و"**ريتشارد**" .. الأصناف البديعة التي كانت تصنعها "**أديث**" .. الضوء المنبعث من المدفأة .. الأثاث القديم .. "**آن**" و "**ريتشارد**" والأحلام الوردية .. المستقبل السعيد .. ابنة شابة تقضي إجازتها في "**سويسرا**." .

كانت "**آن**" تراقب "**ريتشارد**" .. شعرت لحظة بأنها رأت "**ريتشارد**" القديم .. "**ريتشارد**" الحبيب ينظر إليها من خلال عينين حزينتين ..

ولكنها كانت لحظة عابرة وسرعان ما اختفت .. هاهو صوت "**دوريس**" الذي يشبه صوت الضفادع ينقنق من جديد . مسكين "**ريتشارد**" .. مسكين مسكين "**ريتشارد**" .. رباه .. إنها هي التي طردته إلى حيث كانت "**دوريس**" تنتظره .

"**ريتشارد**" المسكين ... هل هو مسكين ؟ إنه متزوج بشابة حسناء ولعله في

غاية السعادة .. لم لا تنتهي هذه الزيارة المزعجة ؟ متى تنتهي ؟

وأخيرا ذهب الضيفان . وما إن خرجا حتى أطلقت "**سارة**" زفرة عميقة من صدرها وقالت :

– الحمد لله أن الزيارة انتهت . ماما . ما أسعد حظك؛ لأنك لم تتزوجي ذلك الرجل !!

– قالت "**آن**" وكأنها تعيش في حلم :

– نعم .. ما أسعد حظي ! قالت "**سارة**" :

– حسنا .. هل تقبلين الزواج به الآن ؟ قالت "**آن**" :

– لا . لا أقبل الزواج به الآن ..

«لقد ابتعد كلانا عن الآخر يا "**ريتشارد**" .. لم أعد المرأة التي سارت معك يوما في حديقة "**سانت جيمس**" ولم تعد الرجل الذي حلمت أن أقضي معه باقي عمري . نحن غريبان . لم تهتم كثيرا بمظهري اليوم أما أنا فقد وجدتك غبيا وسخيفا » .

قالت "**سارة**" :

– تأكدي أنه كان سوف يضجرك حتى الموت .

قالت "**آن**" في بطء :

– نعم . كان سيضجرني حتى الموت .

«لم أعد أستطيع البقاء في المنزل الآن في انتظار الموت . يجب أن أخرج .. يجب أن أسلي نفسي .. يجب أن أحيا» .

ربتت "**سارة**" على كتف أمها وقالت :

– لم يكن هذا الرجل مناسبا لك على الإطلاق . لم يكن يناسبك أن تقبعي في البيت في انتظار عودته كل ليلة بقطار السادسة والربع .

قالت "**آن**" :

– كان ذلك يناسبني يوما ما .

«حديقة قديمة ذات سور عال حول منزل من الطوب الأحمر على الطراز

القديم، ما كان "**ريتشارد**" سيضطر للعب الجولف ، بل كان سيقضي وقته في العناية بالحديقة العامرة بالورد والأزهار ».

قبلت "**سارة**" أمها في حب . قالت :

– يجب أن تكوني ممتنة لي لأنني أنقذتك من هذا المصير . لولاي لتزوجت به .

ابتعدت "**آن**" عن ابنتها قليلا في حركة مفاجئة ثم قالت وعيناها تشعان بلمعان غريب :

– لولاك لتزوجته والآن لم أعد أريد الزواج به . لم يعد يعني لي شيئا على الإطلاق .

ثم سارت إلى المدفأة وأخذت تمر بيديها على حافة المدفأة وفي عينيها مزيج من الدهشة والألم .

وقالت في وداعة غريبة :

– لم يعد يعني لي شيئا على الإطلاق .. لا شيء...ما أسخف الحياة حقا !

اتجهت "**سارة**" نحو المشرب وصبت لنفسها كأسا أخذت ترشفها وظهرها ناحية أمها . قالت دون أن تنظر إلى أمها :

– ماما .. أعتقد أنني يجب أن أخبرك . "**لورانس ستين**" يريد أن يتزوجني..

لم ترد "**آن**" على الفور .. صمتت لحظات ثم قالت :

– حسنا .. وماذا في نيتك أن تفعلي؟ تحولت "**سارة**" وفي عينيها توسل واستعطاف. ولكن "**آن**" لم تكن تنظر إليها. قالت "**سارة**" :

– لا أدري . كان صوتها يحوي خوفا غريبا كأنها طفلة مذعورة تبحث عن الأمان في حضن أمها ، ولكن "**آن**" لم تتجاوب معها . بقي وجهها جامدا ووقفت بعيدة عن ابنتها بآلاف الأميال . قالت :

– اتخاذ ذلك القرار من حقك أنت وحدك .

وضعت "**سارة**" الكأس على المنضدة ، وتناولت خطاب "**جيري ليولد**" وعبثت به لحظات ثم قالت في صوت حاد كأنه صرخة عذاب :

– لا أدري ماذا أفعل .. قالت "**آن**" :

– وأنا لا أستطيع أن أساعدك .. قالت "**سارة**" :

– ولكن ما رأيك يا ماما ؟ قولي شيئا بحق السماء . قالت "**آن**" :

– لقد أخبرتك من قبل أنه رجل سيئ السمعة . قالت "**سارة**" :

– سيئ السمعة .. ذلك لا يهم .. إنني سأموت من الضجر لو أنني تزوجت إنسانا مستقيما . قالت "**آن**" :

– إنه رجل ثري بالتأكيد . وهو يستطيع أن يحقق لك كل رغباتك . ولكن إذا كنت لا تحبينه فلا توافقي على الزواج به .

قالت "**سارة**" في ضعف :

– أعتقد أنني أحبه ..

نظرت "**آن**" إلى ساعة الحائط ثم قالت :

– حسنا .. ما المشكلة إذن ؟ يا إلهي .. لقد نسيت أنني سوف أذهب إلى نادي "**إليوت**" ... لقد تأخرت كثيرا جدا .

قالت "**سارة**" :

– إنني لست متأكدة تماما من أنني أحبه .. كما ترين يا ماما..ثم توقفت عن الكلام ..

قالت "**آن**" : هل تحبين أحدا غيره ؟ قالت "**سارة**" :

– لا . لا أظن .. ومرة أخرى نظرت إلى خطاب "**جيري ليولد**" . قالت "**آن**" بسرعة :

– إذا كنت مازلت تفكرين في "**جيري ليولد**" فهذا مضيعة للوقت .. "**جيري**" شاب فاشل، وكلما سارعت بلفظه من ذهنك كان ذلك أفضل لك .
قالت "**سارة**" في بطء :

– أعتقد أنك على حق . قالت "**آن**" :

– أنا واثقة بأنني على حق .. انسي "**جيري**" تماما ، وإذا لم تكوني واثقة بأنك تحبين "**لورانس ستين**" فلا تتزوجيه .. إن المستقبل فسيح أمامك . قالت

"**سارة**" :

– أعتقد أنني سوف أتزوج "**لورانس**" ، إنه جذاب جدا .

ثم صرخت فجأة :

– أوه .. ماما .. ماذا أفعل ؟ قالت "**آن**" في غضب :

– "**سارة**" .. أنت تتصرفين كأنك طفلة صغيرة .. كيف أستطيع أن أقرر لك مستقبلك ؟ المسؤولية تقع عليك .. عليك وحدك . قالت "**سارة**" :

– أوه .. أعرف ذلك .. قالت "**آن**" في تبرم :

– حسنا قالت "**سارة**" في طفولة :

– كنت أرجو أن .. أن تساعديني بشكل ما .. قالت "**آن**" :

– قلت لك إنك لست في حاجة إلى الزواج بأحد إلا إذا كنت راغبة فيه ..

ولكن "**سارة**" قالت بنفس لهجة الطفولة :

– إنك تريدين أن تتخلصي مني أليس كذلك ؟ قالت "**آن**" :

– كيف تقولين شيئا مثل هذا ؟ بالتأكيد لا أريد التخلص منك .. يالها من فكرة غريبة !

قالت "**سارة**" :

– آسفة يا ماما .. لم أكن أقصد ذلك ، أقصد أن الحياة أصبحت مختلفة جدا .. قديما كنا نسعد معا ولكنني أتسبب دائما في إرهاق أعصابك . قالت "**آن**" :

– أخشى أنني أصبحت أخيرا متوترة الأعصاب .. حقا .. ولكنك لا تستطيعين الإنكار أنك أيضا هوائية . قالت "**سارة**" في تأمل :

– أعتقد أن الخطأ هو خطئي أنا .. معظم صديقاتي قد تزوجن .. لعله يحسن بي أن أتزوج أيضا ، في إمكاني عند ذلك أن أحصل على كل ما أريده .

قالت "**آن**" :

– من المؤكد أن من مصلحتك أن تتزوجي رجلا ثريا ؛ لأنك تحبين دائما الحصول على أجمل الثياب .

قالت "**سارة**" بسهولة :

– إنني أكره الفقر .

تنهدت "**آن**" في عمق كانت تشعر بأنها غير صادقة فيما قالته لابنتها ولم تعد تدري ماذا تقول . قالت :

– يا عزيزتي "**سارة**" أنا لا أدري حقا بماذا أنصحك .. أنا أشعر بأن هذا شيء خـاص جـدا بك أنت . إني لا أريد أن أمنعك من الزواج بـ"**لورانس**" أو أن أحرضك عليه .. يجب أن تقرري أنت . هل تفهمين يا "**سارة**" ؟ قالت "**سارة**" بسرعة :

– بالتأكيد، بالتأكيد يا ماما .. أنا آسفة لأنني أزعجتك هكذا . ولكني أريد أن أعرف منك شيئا واحدا . ما شعورك نحو "**لورانس**" ؟ قالت "**آن**" :

– لا أشعر نحوه بشيء على الإطلاق . قالت "**سارة**" :

– ولكني أخاف منه أحيانا .. قالت "**آن**" :

– "**سارة**" .. ما هذا الكلام الفارغ ؟

لم ترد "**سارة**" ولكنها أخذت تمزق خطاب "**جيري ليولد**" ببطء ثم ألقته في الهواء فتساقط حولها كقطع الثلج الصغيرة . قالت :

– مسكين "**جيري**" .. ثم قالت فجأة :

– ماما .. هل يهمك مستقبلي ؟ هتفت "**آن**" :

– "**سارة**" . قالت "**سارة**" :

– أوه .. أنا آسفة يا ماما ولكني أشعر شعورا غريبا .. كأنني ضائعة في عاصفة ثلجية ولا أجد الطريق إلى منزلي . إنه شعور مخيف .. كل شيء مختلف .. كل إنسان مختلف .. أنت مختلفة يا ماما .

ضحكت "**آن**" في عصبية وقالت :

– ما هذا الجنون السخيف ؟! يجب أن أخرج الآن .

قالت "**سارة**" :

– بالتأكيد .. يجب أن تخرجي الآن .. هل هذه الحفلة مهمة ؟ قالت "**آن**" :

– هناك أصدقاء ينتظرونني .

قالت "**سارة**" :

– أوه .. نعم . صمتت لحظة ثم قالت :

– أعتقد يا ماما أنني يجب أن أبدي نحو "**لورانس**" اهتماماً أكثر مما أبديته نحوه من قبل . قالت "**آن**" :

– ربما .. ولكن لا تتعجلي الأمور .. إلى اللقاء يا حبيبتي .. يجب أن أطير. ثم خرجت "**آن**" وأغلقت الباب خلفها .

جاءت "**أديث**" من المطبخ ومعها صينية لكي تجمع الأقداح، ثم قالت مزمجرة وهي تنظف منفضة السجائر :

– لماذا لا يلقي الناس بأعقاب السجائر في المنفضة بدلا من بعثرتها فوق السجادة ؟ قالت "**سارة**" :

– ذلك مفيد للسجادة .. قالت "**أديث**" :

– كلام فارغ . ثم لماذا تمزقين الخطاب وتلقين به على الأرض هكذا ؟ قالت "**سارة**" :

– آسفة يا "**أديث**" . لقد كنت أمزق الماضي الجميل وأردت أن أراه ينزلق من بين أصابعي . قالت "**أديث**" في تأنيب :

– تمزقين الماضي ؟ هه .. ماذا يضايقك يا جميلتي ؟ قالت "**سارة**" :

– لا شيء . إنني أفكر في الزواج يا "**أديث**" . قالت "**أديث**" :

– وعلام العجلة ؟ انتظري حتى يواتيك الزوج المناسب . قالت "**سارة**" :

– لا أعتقد أن اختيار الزوج المناسب شيء مهم ما دام الزواج يفشل دائما . قالت "**أديث**" :

– لا تقولي هذا الكلام .. قالت "**سارة**" :

– إني أريد أن أخرج من هذا البيت . قالت "**أديث**" :

– ما عيب هذا البيت ؟ قالت "**سارة**" :

– لا أدري . ولكنني أشعر بأن كل شيء قد تغير . لماذا تغير كل شيء يا

"**أديث**" ؟ قالت "**أديث**" في لطف :

– لم يتغير شيء .. ولكنك تتقدمين في السن .. هذا كل ما هنالك . ثم حملت الصينية وتقدمت نحو الباب .

ودون أن تنظر خلفها شعرت بأن "**سارة**" تبكي فوضعت الصينية وعادت إلى "**سارة**" وأخذت تربت كتفها كأنها طفلة صغيرة .

فجأة كفت "**سارة**" عن البكاء وقفزت ضاحكة ثم احتضنت "**أديث**" وجعلت ترقص بها الفالس عبر الحجرة وهي تصيح :

– سوف أتزوج يا "**أديث**" . سوف أتزوج "**لورانس ستين**" الثري . سوف أحظى بكل شيء . ألست فتاة محظوظة؟ سوف أحضر لك هدايا عظيمة ... سوف أتزوج ... سوف أتزوج .. سوف أتزوج .

القسم الثالث

القصاص

كانت "**أديث**" وحدها في المطبخ تغسل الأطباق في الحوض وكانت تتحرك في صعوبة بسبب الروماتيزم الذي انقض عليها في السنوات الأخيرة والذي أجبرها على أن تسلم بقدوم امرأة أخرى مرة كل أسبوع لتنظيف الشقة تحت رقابة "**أديث**" المنتقدة الصارمة .

كانت تحدث نفسها الآن بصوت عال وتوجه اللوم والعتاب إلى كل من يخطر ببالها : بائع اللبن يحضر اللبن ساعة الغداء .. يا للوقاحة .. يجب تسليم اللبن قبل الفطور لا ساعة الغداء .. هذا هو الموعد المناسب .. ذلك البائع الرقيع الذي يسلم اللبن وهو يصفر ، لماذا يصفر دائما ؟ من يظن نفسه ؟

وقطع عليها تأملاتها صوت المفتاح وهو يدور في ثقب الباب الخارجي وجاءها

صوت "**آن**" ينادي :

– "**أديث**" . نزعت "**أديث**" يديها من الحوض وجففتهما بعناية بينما "**آن**" تنادي :

– "**أديث**" .. "**أديث**" .. قالت :

– قادمة يا سيدتي ..

خرجت من المطبخ وهي تسير بصعوبة حيث وجدت "**آن**" في الصالة وهي تفحص خطاباتها . قالت "**آن**" :

– هل كلمت "**لورا ويتستابل**" تليفونيا ؟ أجابت : نعم . قالت "**آن**" :

– هل أخبرتها بأنني أريد أن أراها فورا ؟ قالت "**أديث**" :

– نعم . وقد وعدت بالمجيء على الفور .. صاحت "**آن**" في غضب :

– لماذا لم تحضر إذن ؟ قالت "**أديث**" .

– لقد كلمتها منذ عشرين دقيقة فقط . بعد خروجك فورا . قالت "**آن**" :

– يبدو لي أنه مضت ساعات وساعات . لماذا لم تحضر ؟ قالت "**أديث**" :

– لا يمكن أن يتم كل شيء على الفور . لا تدعي الغضب يتملكك هكذا . صاحت "**آن**" :

– هل أخبرتها بأنني مريضة ؟ قالت "**أديث**" :

– لقد قلت لها إنك في نوبة من النوبات التي تعتادك .. قالت "**آن**" في غيظ :

– ماذا تعنين بالنوبات التي تعتادني ؟ إنها أعصابي التي تمزقت .. قالت "**أديث**" :

– نعم .. نعم .. إنها أعصابك .

نظرت إليها "**آن**" نظرة نارية ثم سارت في قلق إلى النافذة ثم إلى المدفأة ووقفت "**أديث**" تراقبها في إشفاق وهي صامته . قالت "**آن**" :

– لم أعد أستطيع أن أبقى ساكنة لحظة واحدة . لم أنم دقيقة واحدة ليلة الأمس . أشعر بإعياء فظيع ..

ثم تهالكت على أحد المقاعد وهتفت في ألم :

– لا أدري ماذا ألم بي . قالت "**أديث**" :

– السبب هو كثرة الخروج والسهر .. هذا شيء لم يعد يناسب سنك .

صاحت "**آن**" :

– "**أديث**" .. أنت وقحة وتزدادين وقاحة يوما بعد يوم .. لقد قضيت عندي سنوات طوالا ولكن إذا كان لابد من انتقادك الوقح هذا فيحسن بك أن تتركي المنزل .

رفعت "**أديث**" عينيها إلى السقف وعلى وجهها تعبير الشهداء .. قالت :

– لن أترك المنزل أبداً . قالت "**آن**" :

– سوف تتركينه إذا طردتك . قالت "**أديث**" :

– إذا حاولت طردي فإنك تكونين أكثر حماقة مما أظن أنك عليه. إني أستطيع العثور على عمل آخر بمنتهى السهولة ، ولكن ماذا يكون من شأنك أنت ؟ سوف تضطرين إلى الاستعانة بخادمات من اللاتي يعملن باليومية وسوف تتناولين طعاما مطهيا بالزيت يلهب معدتك . ذلك فضلا عن الرائحة التي سوف تملأ الشقة .. أو لعلك توفقين في العثور على خادمة نظيفة مهذبة ثم تعودين يوما إلى الشقة وإذا بكل جواهرك وفرائك قد اختفت ويتضح أن هذه الخادمة المثالية لصة . لا . لا يصلح معك غيري . إني طاهية بارعة ولا أكسر الأطباق وفضلا عن ذلك فأنا أعرف طباعك خير المعرفة، ولذلك لن أتركك . قد يضايقك وجودي ولكن يجب عليك أن تتحمليني . كل منا عليه أن يحمل صليبه..

ضغطت "**آن**" بيدها على جبهتها وأخذت تهتز في عنف وهي تصيح :

– رأسي يكاد ينفجر . قالت "**أديث**" في عطف :

– سوف أصنع لك قدحا من الشاي . صاحت "**آن**" :

– لا أريد قدحا من الشاي . أنا أكره الشاي ..

تنهدت "**أديث**" ورفعت وجهها إلى سقف الحجرة مرة أخرى كأنما تشهد السماء على ما تعانيه . قالت :

– أنت وشأنك . ثم تركت الحجرة .

أما "**آن**" فإنها أشعلت سيجارة ودخنت منها أنفاسا متلاحقة ثم هشمتها بيدها في المنفضة وأخذت تسير في الحجرة كالحيوان الحبيس .

وبعد لحظات تناولت التليفون وأدارت رقما :

– آلو . . آلو . . . . هل أستطيع أن أتحدث إلى السيدة "**لادسكومب**" ؟ أوه . . أهذا أنت يا عزيزتي "**مارسيا**" ؟ كيف حالك . . أوه . . لا شيء . . لقد فكرت فقط في أن أتصل بك . . ما رأيك في أن نتناول العشاء معا غدا ؟ . . حقا . . ؟ هذا بديع . . سوف أتصل بـ"**روبرت**" ونمضي السهرة معا . . سوف أكلمك في الصباح للتأكيد .إلى اللقاء يا عزيزتي . .

أعادت "**آن**" السماعة وعادت من جديد تذرع الحجرة .

سمعت صوت جرس الباب ثم صوت "**أديث**" تقول :

– تفضلي . . إنها في انتظارك بالداخل .

ودخلت "**لورا و يتستابل**" الحجرة . . طويلة ومتجهمة ولكنها ثابتة مثل صخرة شماء وسط بحر عاصف .

جرت "**آن**" نحوها وهي تصرخ في هيستيريا :

– أوه . . "**لورا**" . . "**لورا**" . . ما أسعدني بقدومك !

نظرت إليها "**لورا**" في إمعان ، ثم وضعت يديها على كتفيها ثم سارت بها حتى أجلستها على الأريكة وجلست بجانبها . قالت :

– حسنا . . ماذا وراءك ؟ قالت "**آن**" وهي تضحك في عصبية شديدة :

– أعتقد أنني على أبواب الجنون. قالت "**لورا**" :

– كلام فارغ . ما المشكلة ؟ قالت "**آن**" :

– لا مشاكل هناك . إنها أعصابي . وهذا ما يخيفني . لم أعد أستطيع الجلوس أو الوقوف ساكنة لحظة . يجب أن أتحرك باستمرار . نظرت إليها "**لورا**" نظرة فاحصة ثم قالت :

– إنك تبدين معتلة الصحة .

هتفت "**آن**" :

– لست معتلة الصحة . أنا بخير . ولكنني لا أنام إلا إذا تناولت الحبوب المنومة. ثم أشعر بأنني قلقة ومنزعجة طول الوقت . قالت "**لورا**" :

– هل استشرت طبيبا ؟

قالت "**آن**" :

– وماذا يفعل الطبيب ؟ إنه يصف لي دواء ثم ينصحني بألا أجهد نفسي . قالت "**لورا**" :

– نصيحة عظيمة .

قالت "**آن**" : ربما . ولكن ماذا حدث لي ؟ لم أكن قط امرأة عصبية . أنت تعرفينني جيدا يا "**لورا**" .

صمتت "**لورا**" وهي تتذكر "**آن**" التي كانت تعرفها منذ ثلاث سنوات . "**آن**" الهادئة الوديعة التي لا تخرج عن طورها أبدا والتي يسعدها أي شيء . وشعرت "**لورا**" بحزن عميق على مصير صديقتها . قالت :

– من السهل أن تقولي إنك لم تكوني عصبية من قبل . ومن الطبيعي أيضا أن يقول المصاب في حادث إنه لم يصب في حوادث . قالت "**آن**" :

– ولكن لماذا أصاب في أعصابي ؟ قالت "**لورا**" في حذر :

– لعلك حقا تجهدين نفسك أكثر من اللازم . صاحت "**آن**" :

– لا أستطيع أن أقبع في البيت ليل نهار. قالت "**لورا**" :

– ليس البقاء في البيت مزعجا إلى هذه الدرجة . قالت "**آن**" :

– لا . أنت على حق . ولكنني لا أستطيع أن أبقى في البيت بدون أن أفعل شيئا . قالت "**لورا**" :

– لم لا ؟ قالت "**آن**" في تلعثم :

– لا أدري ، لا أستطيع البقاء بمفردي ... ثم اختلست نظرة إلى صديقتها وقالت :

– هل تصفينني بالجنون إذا قلت لك إنني أشعر بالخوف من الانفراد بنفسي؟

قالت "لورا" فورا :

– بل هذا أفضل ما سمعته منك حتى الآن . قالت "آن" :

– لماذا ؟ قالت "لورا" :

– لأن هذه هي الحقيقة . ولا يمكن أن تأملي في علاج بدون الاعتراف بالحقيقة . قالت "آن" :

– ولكنك لا تفهمين يا "لورا" . أنت لم تشعري قط بالخوف من الانفراد بنفسك . قالت "لورا" :

– أنت تريدين علاجا سحريا إذن .. قالت "آن" :

– كان يجب أن أتحدث إلى شخص ما ورجوت أنك قد تساعدينني . قالت "لورا" :

– أنت تريدين علاجا سحريا إذن .. قالت "آن" في سذاجة :

– ألا تستطيعين حقا مساعدتي بعلاج سحري ؟ تحليل نفسي أو تنويم مغناطيسي أو أي شيء . قالت "لورا" :

– أنا لا أخرج أرانب من قبعتي من أجلك . يجب عليك أن تقومي بذلك بنفسك . ولكي تفعلي ذلك يجب عليك أن تعرفي بالتحديد محتويات القبعة. قالت "آن" :

– ماذا تعنين ؟ قالت "لورا" :

– أنت لست سعيدة . هذا أول شيء . لم أنت غير سعيدة ؟ قالت "آن" :

– لا أدري . قالت "لورا" :

– بل أنت تدرين .

صمتت "آن" لحظة ثم استجمعت شجاعتها وقالت :

– أعتقد أن السبب هو شعوري بالشيخوخة . أنا أتقدم في العمر يوما بعد يوم . أفقد جمالي بالتدريج. ليس عندي أي شيء آمل فيه في المستقبل . صاحت "لورا" :

– كلام فارغ . الحياة مليئة بأشياء لا يمكن القيام بها إلا بعد الشيخوخة .

هناك الكتب والموسيقى والأزهار واللوحات والناس وضوء الشمس. كل ما يجعل الحياة جميلة . قالت "**آن**" في تحد :

– لعل السبب إذن هو الجنس ماذا يهم المرأة في الحياة عندما تشعر بأنها أصبحت عاجزة عن اجتذاب الرجال جنسيا ؟ قالت "**لورا**" :

– قد يصدق هذا على بعض النساء ولكنه لا يصدق عليك أنت بكل تأكيد . إنه الحب الذي يهمك لا الجنس .

تغير وجه "**آن**" فجأة . لانت ملامحها وسبحت مع الذكريات الذهبية القديمة . غمغمت :

– كان يمكن أن أكون امرأة سعيدة لو أنني تزوجت "**ريتشارد كولدفيلد**" كان يمكن أن نتقدم معا في الشيخوخة في رضا وهناء. قالت "**لورا**" في عطف :

– أعرف ذلك . قالت "**آن**" :

– والآن .. لم أعد حتى أندم على أني فقدت "**ريتشارد**" ، لقد رأيته مرة أخرى .. منذ عام تقريبا .. وشعرت بأنه لا يهمني على الإطلاق هذه هي المأساة الحقيقية .. لم يعد أحدنا يساوي شيئا في نظر الآخر . ولكن لو أننا تزوجنا لعشنا سعداء معا . أنا واثقة بذلك . قالت "**لورا**" :

– أوافقك على ذلك .قالت "**آن**" :

– لقد اقتربت من السعادة .. لمستها بيدي .. ثم .. ثم تركتها تسقط من بين أصابعي . قالت "**لورا**" :

– حقا ؟ قالت "**آن**" في دهشة :

– بالتأكيد ، لقد تنازلت عن السعادة من أجل "**سارة**" . قالت "**لورا**" :

– تماما . ولم تصفحي عن "**سارة**" قط .

أفاقت "**آن**" من أحلامها فيما يشبه الشعور بالصدمة . قالت :

– ماذا تقصدين يا "**لورا**" ؟ قالت "**لورا**" :

– التضحية .. ما معنى التضحية .. التضحية ليست فقط لحظة البطولة والكرم التي تدفعك إلى تقديم مصلحة شخص آخر عزيز على مصلحتك

الشخصية . أسهل من هذه التضحية بالحياة نفسها لأنك تموتين في اللحظة التي ترتفعين فيها على نفسك . ولكن التضحية التي من نوع تضحيتك من أجل "**سارة**" هي التضحية التي يتحتم عليك أن تعيشي معها يوما بعد يوم وليلة بعد ليلة بقية حياتك . وهذا ليس أمرا سهلا . يجب أن يكون الإنسان قديسا لكي يتحمل ذلك . احمر وجه "**آن**" وقالت :

– لقد أعطيت "**سارة**" حياتي كلها . ضحيت من أجلها بفرصتي الأخيرة في السعادة وأنت تقولين إن هذا ليس كافيا .قالت "**لورا**" :

– أنا لم أقل ذلك .. قالت "**آن**" :

– أنا مسؤولة إذن عن كل خطأ كالعادة . قالت "**لورا**" :

– نصف متاعب الحياة تأتي من أن كل إنسان يتصور أنه أفضل وأحسن مما هو عليه حقا .

ولكن "**آن**" لم تلق بالا إلى ما قالته "**لورا**" . انفجرت تقول :

– إن "**سارة**" شابة أنانية جدا . لا تفكر في أحد إلا نفسها . هل تعلمين أنه عندما طلبني "**ريتشارد كولدفيلد**" تليفونيا منذ عام لم تتذكر "**سارة**" من هو ، نسيته تماما . وماذا كان في استطاعتي أنا أن أفعل ؟ كانت "**سارة**" و"**ريتشارد**" يتشاجران طول الوقت . لو أنني تزوجت "**ريتشارد**" لما نعمت بلحظة سلام واحدة . قالت "**لورا**" :

– يجب عليك أن تحددي ما إذا كنت قد ضحيت بالزواج بـ"**ريتشارد**" من أجل "**سارة**" أم من أجل السلام .. قالت "**آن**" :

– لقد كنت أحب "**ريتشارد**" ، ولكني كنت أحب "**سارة**" أكثر منه . قالت "**لورا**" :

– لا يا "**آن**" . ليس الأمر بهذه السهولة أعتقد أنه جاء عليك وقت كنت تحبين فيه "**ريتشارد**" أكثر من "**سارة**" . أعتقد أن شقاءك الحالي ينبع من ذكرى هذا الوقت . لو أنك ضحيت بـ"**ريتشارد**" لأنك تحبين "**سارة**" أكثر منه لما عانيت الآن . ولكن لأنك ضحيت بـ"**ريتشارد**" بسبب ضعفك أمام "**سارة**" التي كانت

تضغط عليك وبسبب رغبتك في الحصول على السلام وراحة البال . أي أن التضحية كانت هزيمة وليست انتصارا . هذا شيء لا يعترف الإنسان به لنفسه أبداً . قالت "**آن**" :

- لقد أحببت "**ريتشارد**" من أعماقي والآن لم يعد يعني لي شيئا. قالت "**لورا**" :

– و"**سارة**" . قالت "**آن**" :

– "**سارة**" ؟ قالت "**لورا**" :

– نعم . ما قيمة "**سارة**" عندك الآن ؟ قالت "**آن**" :

– منذ أن تزوجت لم أرها كثيرا . إنها مشغولة وسعيدة ومرحة . قالت "**لورا**" :

– لقد رأيتها ليلة الأمس في مطعم مع مجموعة من الناس . . وكانت . . ثملة. هتفت "**آن**" :

– ثملة ؟ ثم ضحكت وقالت : يا عزيزتي "**لورا**" . . لا تكوني موضة قديمة. . الناس جميعا يشربون بإسراف هذه الأيام . .قالت "**لورا**" :

– ربما . . ولكني أيضا تحدثت إلى "**سارة**" ولاحظت علامات في عينيها تدل على أنها تتعاطى مادة مخدرة . قالت "**آن**" في ذهول :

– مادة مخدرة ؟ ! قالت "**لورا**" :

– نعم لقد أخبرتك من قبل أن "**لورانس ستين**" يدمن المخدرات بكافة أصنافها . . قالت "**آن**" :

– إنه يبدو لي طبيعيا دائما . قالت "**لورا**" :

– أوه . . إن المخدرات لا يمكن أن تؤذيه ، إن هذا النوع من الأشخاص لا يمكن أن يصبح خاضعا للإدمان . ولكن الأمر مختلف مع النساء . إذا أدمنت المرأة المخدرات فإنها لا يمكن أبداً أن تتخلص منها . قالت "**آن**" :

– وما الذي يجعل أي امرأة تقبل على المخدرات ؟ قالت "**لورا**" بسهولة :

– التعاسة . هل يزعجك أن تعلمي أن "**سارة**" تعيسة ؟ قالت "**آن**" في

حدة :

– بالتأكيد .. يا له من سؤال .. قالت "**لورا**" :

– حقا ؟ ثم نهضت وقالت :

– يجب أن أذهب الآن . عندي اجتماع بعد عشر دقائق من الآن . ثم سارت نحو الباب وتبعتها "**آن**" . قالت "**آن**" :

– ماذا تعنين يا "**لورا**" بقولك (حقا ؟). تجاهلت "**لورا**" السؤال وقالت :

– أين قفازي ؟ لابد أنني وضعته في مكان ما. قالت "**آن**" في إصرار :

– ماذا كنت تعنين يا "**لورا**" ؟ قالت "**لورا**" :

– آه ... ها هو قفازي .. لقد كان في حقيبتي طول الوقت . قالت "**آن**" :

– بحق السماء يا "**لورا**" .. لماذا تعذبينني هكذا ؟

وقبل أن تجيب "**لورا**" دق جرس الباب وأسرعت "**أديث**" من المطبخ ففتحته ثم قالت :

– أوه .. إنه السيد "**جيري ليولد**" ..

نظرت "**آن**" إلى "**جيري**" في دهشة وكأنها تنظر إلى كائن من "**المريخ**" .
لم تكن رأته منذ ثلاث سنوات . منذ أن سافر في رحلته الحمقاء إلى "**جنوب إفريقيا**" . وكان "**جيري**" قد تغير كثيرا . كان يبدو أكبر بكثير من سنه . وكانت ملابسه رثة وحذاؤه غير نظيف . كان إعلانا واضحا عن الفشل ولكنه كان يبدو أيضا أكثر جدية مما كان . قالت "**آن**" :

– "**جيري**" .. يا لها من مفاجأة ! قالت "**لورا**" :

– أنا أذكرك أيضا أيها الشاب ، ولكن لعلك أنت لا تذكرني . قال "**جيري**" :

– بل أذكرك جيدا يا آنسة "**لورا**" . لا أحد يجرؤ على أن ينساك. قالت "**لورا**" :

– هذا شيء بديع .. لقد كنت في طريقي للخروج . إلى اللقاء يا "**آن**" . إلى اللقاء يا سيد "**ليولد**" .

خرجت "**لورا**" ثم تبع "**جيري**" "**آن**" إلى حجرة الاستقبال حيث جلس

وأشعل السيجارة التي قدمتها له "**آن**" .

قالت "**آن**" في مرح متكلف :

– حسنا يا "**جيري**" ، حدثني عن أخبارك . ماذا فعلت طيلة هذه السنوات هل ستبقى في "**إنجلترا**" طويلا ؟ قال "**جيري**" :

– لم أقرر ذلك بعد . ثم نظر إليها نظرة فاحصة جعلتها تتململ في وقفتها . ماذا يدور في رأسه ؟ ليس هذا هو "**جيري**" القديم . قالت :

– هل لك في شراب ؟ ماذا تشرب ؟ شراب البرتقال ؟ قال "**جيري**" :

– شكرا لك ولكني لا أريد أن أشرب شيئا . لقد حضرت لأتحدث معك . قالت "**آن**" :

– هذا لطيف منك . هل قابلت "**سارة**" ؟ لقد تزوجت برجل اسمه "**لورانس ستين**" . قال :

– أعرف ذلك . لقد كتبت لي "**سارة**" ثم قابلتها بعد عودتي وهذا هو السبب الذي جاء بي لمقابلتك . السيدة "**برنتيس**" لماذا تركت "**سارة**" تتزوج ذلك الرجل ؟

فوجئت "**آن**" وقالت في عدم ارتياح :

– "**جيري**" ... بحق السماء !! قال في جدية :

– إنها تعيسة جدا . هل تعلمين ذلك ؟ قالت :

– هل أخبرتك بذلك ؟ قال :

– بالتأكيد لا . "**سارة**" لا تفعل ذلك . لم تكن في حاجة إلى الاعتراف لي على أي حال . كانت التعاسة واضحة عليها بأجلى معانيها . لماذا تركت شيئا مثل هذا يحدث يا سيدة "**برنتيس**" ؟ قالت "**آن**" في غضب :

– عزيزي "**جيري**" ألا تلاحظ أنك تقول كلاما عجيبا ؟ قال :

– لا أظن ذلك . إن "**سارة**" تهمني جدا . إنها أهم إنسان عندي في هذا الوجود . وبالتالي فإنه من الطبيعي أن أهتم بسعادتها أو تعاستها . لم يكن يجب أن تدعيها تتزوج "**لورانس ستين**" . صاحت "**آن**" :

–أنت تتكلم كما يتكلم الناس في الميلودرامات القديمة . لم تكن المسألة أن (أدعها) أو (أمنعها) من الزواج بـ"**لورانس ستين**" .. الفتيات يتزوجن بمن يرغبن دون مشورة ذويهن وقد اختارت "**سارة**" أن تتزوج "**لورانس ستين**" . هذا هو كل شيء . قال "**جيري**" في هدوء : ك

– ان في إمكانك أن تمنعي هذا الزواج . قالت :

– مستحيل . إن ذلك كان يجعلها تتشبث به أكثر . قال :

– ولكن .. هل حاولت منعها من الزواج ؟ تلعثمت "**آن**" رغما عنها وقالت :

– أنا .. أنا .. أنا أعرف أنه أكبر منها سنا .. ولا يتمتع بسمعة جيدة ... لقد ذكرت لها ذلك .. ولكن ...

قال "**جيري**" في حدة :

– إنه حيوان قذر .. قالت "**آن**" :

– وكيف تعرف أي شيء عنه ؟ لقد كنت خارج البلاد سنوات . قال "**جيري**" :

– الدنيا كلها تعرف كل شيء عن "**لورانس ستين**" . أنا واثق بأنك لا تعرفين (كل شيء) عنه ولكن من المؤكد أنك لمست بنفسك أي وحش من الناس هو . قالت "**آن**" :

– لقد كان دائما مهذبا ولطيفا معي .

وليس من الضروري أن كل رجل ذي ماض يكون زوجا فاشلا . يجب ألا نصدق كل الشائعات التي يقولها الناس . و"**سارة**" كانت معجبة به جدا . كانت مصممة على الزواج به . إنه رجل ثري ...

قاطعها "**جيري**" :

– نعم .. هو رجل ثري .. ولكنك لست بالمرأة التي تدفع ابنتها للزواج من أجل المال فقط . كان المتوقع منك أن تبحثي عن سعادة "**سارة**" فقط . أو على الأقل هذا ما تصورته دائما . قالت "**آن**" :

– من المؤكد أنني أردت لابنتي الوحيدة أن تكون سعيدة . هذا أمر لا يحتمل

المناقشة . ولكن يجب أن تعرف أنه لم يكن في إمكاني أن أتدخل .

أحيانا يرى الإنسان الخطأ أمامه دون أن يستطيع التدخل . كان "**جيري**" ينظر إليها في استغراب وألم محاولا أن يقرأ أعماقها . قال :

– هل أرادت "**سارة**" حقا أن تتزوجه ؟ قالت "**آن**" :

– لقد كانت مغرمة به إلى حد الوله . لم يرد "**جيري**" فتابعت كلامها :

– قد لا يكون ذلك واضحا لك ولكن "**لورانس**" يتمتع بجاذبية جنسية فائقة. قال :

– أوه .. أنا أدرك ذلك جيدا .. قالت "**آن**" وقد بدأت تستعيد ثباتها :

– في الحقيقة يا "**جيري**" أنت تتوهم أشياء لا وجود لها .. لمجرد أنك و"**سارة**" كنتما أصدقاء منذ سنوات فإنك تأتي إلى هنا وتتهمني كأنما زواج "**سارة**" بشخص آخر غيرك كان خطئي . قال :

– إنه خطؤك بدون شك . نهضت "**آن**" من مقعدها لتشعره بانتهاء المقابلة وقالت في برود :

– هذا كثير جدا . نهض "**جيري**" أيضا قائلا :

– أنا آسف .. لقد أفلت مني لساني .. قالت :

– هذا خطأ لا يغتفر .. قال :

– ربما . ولكن كما تعلمين أنا أهتم بـ"**سارة**" جدا ولا أستطيع أن أمنع نفسي من التفكير في أنك ألقيت بها في هاوية شقاء تعس . ولكني سوف أنقذها من هذا الشقاء . قالت "**آن**" :

– ماذا ؟ قال :

– أنا أفهم "**سارة**" وهي تفهمني ولن أتخلى عنها في محنتها ..

ضحكت "**آن**" ضحكة خشنة وقالت : سوف تجد أنها قد تغيرت كثيرا .

قال : أعرف أنها قد تغيرت . لقد رأيت ذلك بنفسي . أنا آسف لوقاحتي معك يا سيدة "**برنتيس**" . ولكن سعادة "**سارة**" تأتي في المكان الأول قبل الاهتمام بأي مخلوق .

ثم خرج من الحجرة إلى الصالة إلى خارج الشقة .
أما "**آن**" فإنها قامت وصبت لنفسها كأسا شربتها بسرعة وهي تحدث نفسها :
« كيف يجرؤ ؟ كيف يجرؤ ؟ و"**لورا**" أيضا .. إنها ضدي .. الجميع ضدي .
هذا ليس عدلا . ماذا فعلت ؟ لا شيء على الإطلاق » .

عرين الأسد

دق "**جيري ليولد**" جرس باب المنزل رقم 18 في ميدان "**بونسيفوت**" ففَتح له خادم نظر إليه في ارتياب عندما رأى ملابسه الرثة .
ولكن نظرات "**جيري**" أرغمته على احترامه فأفسح له الطريق وأدخله إلى حجرة الاستقبال ثم انسحب ليرى ما إذا كانت السيدة "**ستين**" موجودة .
وبعد لحظات عاد واصطحب "**جيري**" إلى حجرة أخرى كانت "**سارة ستين**" تنتظر فيها باسمة . قالت "**سارة**" :
– "**جيري**" .. كم هو لطيف منك أن تزورني . لم يتسع لنا الوقت بالأمس للحديث معا . ولكن لنشرب شيئا معا .
صبت كأسين ثم قدمت له كأسا وجلست في مقعد بعيدا عن النافذة . كانت الحجرة شبه مظلمة ولم يكن وجه "**سارة**" واضحا . قالت "**سارة**" :
– حسنا يا "**جيري**" ؟ ابتسم وقال :
– حسنا يا "**سارة**" ؟ قالت "**سارة**" :
– ما أخبارك ؟ ماذا فعلت بعد أن تركت "**جنوب إفريقيا**" إلى "**كينيا**" ؟
قال :
– صادفني سوء الحظ من جديد . قالت :
– هذا شيء مؤكد . قال :
– ماذا تعنين ؟ قالت :
– لقد كنت دائما سيئ الحظ يا "**جيري**" .. أليس كذلك ؟

كانت جملة قاسية ولكنه لمس فيها جانبا من "**سارة**" القديمة التي كانت تناوشه وتعاكسه . استجاب لهذا الطائف الحبيب وزمجر قائلا : ماذا أصنع؟ أنا أنتقل من سوء الحظ إلى سوء حظ . قالت :

– نعم . نفس القصة الخالدة التي لا تتغير . قال :

– ولا تنسي أنني لم أكن أملك رأس مال .. قالت :

– أعرف .. أعرف .. قال :

– بحق السماء يا "**سارة**" .. لم يكن ذلك خطئي . قالت :

– لم يكن الخطأ خطاك قط . لماذا عدت إلى "**إنجلترا**" ؟ قال :

– لقد توفيت عمتي .. قالت :

– عمتك "**لينا**" ؟ قال :

– نعم . لقد توفي عمي "**لوك**" منذ عامين ولم يترك لي مليما واحدا .. أما العمة "**لينا**" .. قالت "**سارة**" :

– فقد تركت لك شيئا ؟ قال :

– عشرة آلاف جنيه .. قالت "**سارة**" :

– هذا مبلغ جسيم ... حتى في أيامنا هذه .. قال :

– وأنا ذاهب إلى "**كندا** "مع صديق لي .. لقد تعلمت دروساً كثيرة .. قالت :

– لا أظن ذلك .. الذي ينقصك حقا يا "**جيري**" هو وكيل أعمال مخلص . شخص نافذ البصيرة ينقذك دائما من التهور في اللحظة المناسبة . قال :

–أنت على حق ، ولكنني واثق بأنني سوف أنجح في "**كندا** " . سوف أكون حذرا جدا . صمت لحظة ثم قال :

– لقد قابلت أمك بالأمس .. قالت :

– حقا ؟ كيف حالها ؟ قال :

– لقد تغيرت كثيرا . قالت :

– أتظن ذلك ؟ كيف تغيرت ؟ قال :

–لا أدري كيف أصف التغيير .. إنها مثلا عصبية جدا .. قالت "**سارة**" في سهولة :

– ومن ليس عصبيا جدا في هذه الأيام ؟ قال :

– لم تكن أمك عصبية في الماضي .. كانت هادئة وديعة .. ولكنها تغيرت، شعرها وملابسها وكل شيء .. قالت :

– لقد أصبحت مرحة قليلا . ولم لا ؟ إن الإحساس بالشيخوخة إحساس قاتل. على أي حال الناس جميعا يتغيرون .

ثم توقفت لحظة قبل أن تسأل : أعتقد أنني قد تغيرت كثيرا أيضا . قال "**جيري**" وهو يتفحصها :

– على الرغم من هذه الملابس الفاخرة ومن الرائحة العطرية النفاذة وهذه الزينة الزائدة فإنك مازلت "**سارة**" .. حبيبتي "**سارة**" .

تحركت "**سارة**" في قلق ثم قالت في مرح مصطنع :

– وأنت لاتزال "**جيري**" القديم . متى تذهب إلى "**كندا**" ؟ قال :

– بمجرد أن ينتهي المحامون من تسوية ميراثي . ثم نهض وقال :

– لابد أن أذهب الآن . هلا خرجنا معا ذات مساء ؟ قالت :

– لا . ولكنك سوف تتعشى معنا يوما . يجب أن تقابل "**لورانس**" . سوف أقيم حفلة .. قال :

– أنا لا أحب الحفلات ولكنني أرجوك أن تخرجي معي يوما يا "**سارة**" حتى ولو كان ذلك نزهة في الصباح .ضحكت "**سارة**" وقالت :

– يا عزيزي "**جيري**" .. أنا في الصباح لا أعرف نفسي. .إنه أبشع أوقات اليوم على أي حال . قال :

– إنه أنسب الأوقات للتفكير الواضح .. قالت :

– ومن يريد أن يفكر تفكيرا واضحا ؟ قال :

– أنت وأنا . غدا صباحا . سوف أنتظرك عند بوابة "**فانوفر**" .

تنهدت "**سارة**" وقالت :

– أنت شخص متعب .. ما أبشع هذه البذلة التي ترتديها.. قال :

– إنها بذلة جاهزة . غدا في الثانية عشرة ظهرا . لا تنسي .

- 2 -

قالت "**سارة**" في تحد خفي :

– حسنا .. هأنذا قد جئت .

نظر إليها "**جيري**" وهو يتأملها في وضوح النهار . كانت جميلة جمالا رائعا. وكانت ترتدي ثوبا بديعاوتتألق في إصبع يدها اليسرى زمردة كبيرة.

قال لنفسه « أنا مجنون ولا شك » . قال :

– هيا بنا .. دعينا نتمشى .. سار الاثنان معا حتى دخلا حديقة الأزهار جلسا في ناحية منعزلة من الحديقة. قال "**جيري**" :

– والآن ، إني أريدك أن تسافري معي إلى "**كندا**" .

نظرت إليه "**سارة**" في ذهول قائلة :

– ماذا تعني بحق السماء ؟ قال :

– أعني ما قلت بالتحديد . قالت :

– هل تقصد أن أذهب في رحلة إلى "**كندا**" ؟ قال :

– بل أقصد أن تحصلي على الطلاق من زوجك وتتزوجيني وتسافري معي إلى "**كندا**" . ضحكت "**سارة**" من أعماقها ثم قالت :

– أنت مجنون لقد تزوجت منذ سنة. قاطعها :

– وهل يهم ذلك ؟ قالت "**سارة**" :

– لا . لا أظن ذلك ... قال :

– سنة أو أربع أو عشر . كلانا يخص الآخر يا "**سارة**" . لقد كنت أشعر بذلك دائما . ألا تشعرين بمثل هذا الشعور ؟ قالت "**سارة**" :

– ربما .. تقريبا ... ولكن ما تقترحه يا "**جيري**" هو شيء مستحيل . قال :

– لماذا ؟! لو أنك كنت متزوجة بشخص محترم وكنت سعيدة معه فإنني ما

كنت لأتدخل لحظة في حياتك . ولكنك لست سعيدة يا "**سارة**" .

قالت "**سارة**" في مرارة :

– أنا سعيدة مثل معظم الناس .. قال :

– بل أنت شقية شقاء مبرحا . قالت :

– إذا كان ذلك صحيحا فأنا المسؤولة عن خطئي ، وعلى المرء دائما أن يتحمل تبعة أخطائه . قال :

– هل يتحمل "**لورانس ستين**" تبعة أخطائه ؟ قالت :

– هذا كلام قاس يا "**جيري**" .. قال :

– بل هي الحقيقة الكاملة .. قالت :

– وعلى العموم فإن اقتراحك اقتراح .. مجنون تماما .. قال :

– لأنني لم أحاول التأثير عليك بالتدريج ؟ لا داعي لذلك كلانا يخص الآخر. منذ الأزل وإلى الأبد . أنت تعرفين ذلك يا "**سارة**" .

تنهدت "**سارة**" وقالت :

–أعترف بأنني كنت متعلقة بك جدا يا "**جيري**" . قال :

– إن مشاعري نحوك أعمق من ذلك بكثير . تحولت إليه وقالت :

– حقا يا "**جيري**" ؟ هل أنت متأكد ؟ قال "**جيري**" في لطف :

– هل تسافرين معي يا "**سارة**" ؟

جلست "**سارة**" وهي تجمع معطفها حول جسمها وهي تشعر بهواء بارد يأتيها من خلال أغصان الأشجار . قالت :

– آسفة يا "**جيري**" . لا . قال :

– لماذا ؟ قالت :

– لأني لا أستطيع . هذا كل ما هنالك . قال :

– النساء ينفصلن عن أزواجهن كل يوم ..

قالت : لست من أولئك النساء . قال :

– هل تزعمين أنك تحبين "**لورانس ستين**" . هزت رأسها وقالت :

– لا . أنا لا أحبه . لم أحبه لحظة واحدة . لقد سحرني لأنه بارع جدا مع النساء .

ثم ارتجفت وقالت :

– ولكنه إنسان غريب .. إنه يمارس الجنس لا لأنه لا يستطيع أن يمنع نفسه عنه . قال :

– ذلك أحرى بأن يجعلك تنفصلين عنه .. قالت "**سارة**" :

– "**جيري**" . يحسن بك أن تعرف الآن ماذا أصبحت عليه . إن حياتي مع "**لورانس**" عودتني على .. على بعض الأشياء الغريبة ... أنا لا أستطيع أن أتخلى عن هذه العادات . لا أستطيع أيضا أن أتخلى عن الثياب الفاخرة والجواهر والنقود والمطاعم الباهظة والحفلات والخدم والحشم والسيارات واليخت .. وأنت تريدني أن أهجر كل ذلك وأسافر معك إلى "**كندا**" لكي أبدأ الحياة من جديد في مزرعة متواضعة .

لا أستطيع ولن أقدم على ذلك . لقد أصبحت مرفهة ومدللة ومسحورة بالثروة والرفاهية . قال "**جيري**" في صرامة :

– هذا يزيدني تمسكا بأن أنقذك من هذا العفن . قالت "**سارة**" :

– أوه .. ألا تفهم يا "**جيري**" ؟ الأمر ليس خاصا فقط بالثروة والرفاهية . لقد أصبحت امرأة شاذة .. تلك الحفلات التي أحضرها والأماكن التي أذهب إليها ..

ثم توقفت عن الكلام وقد احمر وجهها . قال "**جيري**" في هدوء :

– حسنا .. لقد أصبحت امرأة منحرفة .. هل هناك شيء آخر ؟ قالت :

– نعم . هناك أشياء .. أشياء تعودت عليها ولم يعد في إمكاني أن أحيا بدونها .

رفع "**جيري**" ذقنها بيده ناحيته ونظر في وجهها بحدة ثم قال : أشياء .. تقصدين المخدرات ؟

أومأت برأسها . قال :

– المخدرات تمنحك خيالا رائعا ، أليس كذلك ؟ قالت :

– بلى . قال :

– اسمعي يا "**سارة**" .. أنت قادمة معي وسوف تكفين عن تعاطي المخدرات . قالت :

– وإذا عجزت ؟ قال :

– سوف ترين أنك لن تعجزي وأنا بجانبك ..

تراخت كتفا "**سارة**" . تنهدت ومالت نحوه ولكن "**جيري**" نأى عنها . قال :

– لا، لن أقبلك .. قالت :

– أنت تريد مني قرارا واضحا إذن ؟ قال :

– نعم . قالت :

– "**جيري**" .. "**جيري**" المجنون . قال :

– أنا أعلم أيضا أنني لست رجلا ناجحا . أعرف أنني أفسدت كل مشروع قمت به . أعلم أنك لا تثقين بي كثيرا . ولكني واثق بأنه إذا كنت بجواري فإنني سوف أنجح . أنت ذكية يا "**سارة**" وعملية وتعرفين كيف تثيرين الحماس في نفسي إذا ما دب إليها الخمول . قالت :

– أنت تصورني في صورة زاهية مشرقة . قال :

– سوف تكون الحياة شاقة عليك في البداية . سوف تعملين بجد وجهد بجواري . لا أدري كيف أقنعك .. ولكن .. ولكنها سوف تكون حياة حقيقية.. حياة لا أوهام فيها .

رددت "**سارة**" وهي شاردة :

– حياة حقيقية .. حياة لا أوهام فيها .. ثم قامت وشرعت تسير وهو يسير بجانبها . سألها :

– هل توافقين يا "**سارة**" ؟ قالت :

– لا أدري .. قال :

– "**سارة**" .. حبيبتي . قالت :

– لا يا "**جيري**" .. لا تقل أكثر من ذلك .. لقد قلت كل شيء .. الأمر الآن خاص .. أنا التي يجب أن أقرر .. سوف أفكر ثم أخبرك بقراري . قال :

– متى ..؟ قالت : قريبا جدا ..

الضحية القاتلة

فتحت "**أديث**" باب الشقة ثم تهلل وجهها عندما رأت "**سارة**" . هتفت :

– يا لها من مفاجأة بديعة ! قالت "**سارة**" :

– كيف حالك يا "**أديث**" العزيزة ؟ هل ماما موجودة ؟ قالت "**أديث**" :

– سوف تحضر فورا من الخارج . أنا سعيدة بقدومك . سوف يسري ذلك عن أمك كثيرا .

قالت "**سارة**" وهي تخلع عنها معطف الفراء الثمين وتلقي به على مسند المقعد ثم تجلس :

– وهل ماما في حاجة إلى من يسري عنها ؟ كنت أعتقد أنها تقضي وقتا رائعا..

تنهدت "**أديث**" وقالت :

– أنا قلقة جدا على أمك . إنها تتعذب ولا أدري لماذا. إنها عصبية تتحرك باستمرار .. أخشى أن يكون السبب هو سوء الهضم .

ضحكت "**سارة**" وقالت :

– كل شيء عندك سببه سوء الهضم يا "**أديث**" .. قالت "**أديث**" :

– لا أستطيع أن أقول ذلك عنك يا سيدة "**سارة**" .. وهذا المعطف لابد أنه تكلف ثروة ضخمة . قالت "**سارة**" في مرارة :

– من يبيع روحه يجب أن يتقاضى ثمنا باهظا . قالت "**أديث**" :

– يجب ألا تتكلمي بهذه الطريقة يا سيدة "**سارة**" .. أنا ما زلت أذكر

فرحتك بزواجك بالسيد "**لورانس ستين**" .. وكيف جعلتني أرقص معك وأنت ترددين .. سوف أتزوج .. سوف أتزوج .. هتفت "**سارة**" في ألم :

– أرجوك يا "**أديث**" .. هذا الكلام يعذبني . قالت "**أديث**" :

– أوه .. لا تكتئبي هكذا يا عزيزتي .. الزواج صعب دائما في العامين الأولين فقط .. خصوصا إذا جاء الأطفال ... هل هناك طفل في الطريق؟ قالت "**سارة**" :

– لا يا "**أديث**" . لا شيء . قالت "**أديث**" :

– أنا آسفة حقا . لقد لاحظت أنك عصبية قليلا وظننت أن السبب هو أنك تنتظرين طفلا . أذكر أن أختي الكبرى عندما كانت حاملا في مولودها الأول كانت تسير في الطريق وفجأة شعرت باشتهاء غريب للبرقوق . ودون أن تشعر اقتربت من أول فاكهي صادفها وخطفت ثمرة من البرقوق وشرعت تقضم فيها دون استئذان . صاح فيها صبي البائع :« ماذا تفعلين يا سيدتي ؟» ولكن البائع نفسه الذي كان عنده ثلاثة عشر طفلا نهره؛ لأنه كان يعرف هذه الحالات .

ضحكت "**سارة**" وقالت :

– ما أغرب عائلتك يا "**أديث**" ! إنني أسمع عنها منذ أن كنت طفلة . قالت "**أديث**" !!

– نعم . لقد أخبرتك بالكثير حقا عن أفراد عائلتي . وأنت كنت طفلة صغيرة جميلة تعبثين في كل شيء وتملئين الشقة بالمرح والبهجة . على فكرة لقد جاء صديقك الشاب "**جيري ليولد**" هنا منذ يومين . هل قابلته؟ إنه يبدو أكبر سنا ولكن الشمس منحته سمرة جذابة . ترى هل نجح ؟ قالت "**سارة**" :

– لا . "**أديث**" .. هل تعتقدين أن ماما ستتأخر ؟ قالت "**أديث**" :

– لا . لا . إنها مدعوة للعشاء ولابد أن تعود لترتدي ثياب المساء. ولو أنني لا أحب لها أن تخرج كل ليلة هكذا . لقد كانت دائما امرأة هادئة.. هذا ما قاله "**جيري**" أيضا .. قالت "**سارة**" :

– نعم .. من الغريب أن ماما تغيرت هكذا .. "**أديث**" هل تعتقدين أن الأم

تستمر في حب أبنائها إلى الأبد ؟ قالت "**أديث**" :

– بالتأكيد يا سيدة "**سارة**" . قالت "**سارة**" :

– بالتأكيد لماذا ؟ هل من الطبيعي أن تستمر الأم في حب ابنتها بعد أن تشب الابنة وتتزوج وتخرج إلى الحياة ؟ ليس الحال هكذا بين الحيوانات . هتفت "**أديث**" :

– الحيوانات ؟ ما هذا الكلام يا سيدة "**سارة**" ؟ نحن كائنات آدمية ولسنا حيوانات . تذكري المثل الذي يقول (الابن يستمر ابنا حتى يتزوج أما الابنة فإنها تبقى ابنة مدى الحياة) . ضحكت "**سارة**" وقالت :

– أنا أعرف أمهات يكرهن بناتهن مثل السم الناقع ، وأعرف بنات لا يفكرن في أمهاتهن على الإطلاق . قالت "**أديث**" :

– هذه ليست مشاعر إنسانية . قالت "**سارة**" :

– ولكنها أفضل يا "**أديث**" . هذا ما يقوله علماء النفس . قالت "**أديث**" :

– علماء النفس دائما لهم عقول مخطئة . قالت "**سارة**" :

– لقد كنت دائما أحب ماما لشخصها لا لكونها أمي . قالت "**أديث**" :

– وهي أيضا تحبك . لم ترد "**سارة**" على الفور ثم قالت :

– ربما . . قالت "**أديث**" :

– أوه . . لا تتصوري حالتها عندما أصبت بالتهاب رئوي وأنت في الرابعة عشرة . . قالت "**سارة**" :

– كان ذلك في الماضي . . أما الآن .

وعند ذلك جاءهما صوت المفتاح يدور في ثقب الباب الخارجي .قالت "**أديث**" :

– ها قد جاءت .

دخلت "**آن**" وهي تلهث ثم خلعت عن رأسها قبعة جميلة مرحة مزينة بالريش المزركش . هتفت :

– "**سارة**" يا لها من مفاجأة ! أوه . . لقد آلمت هذه القبعة رأسي . . كم

الساعة الآن ؟ أوه .. لقد تأخرت كثيرا عن موعدي .. تعالي معي إلى حجرتي ريثما أبدل ثيابي يا "**سارة**" ..

وفي حجرة "**آن**" جلست "**سارة**" على مقعد بينما أخذت أمها تبدل ثيابها . قالت "**آن**" :

– كيف حال "**لورانس**" ؟ قالت "**سارة**" :

– بخير . قالت "**آن**" :

– حسنا . لم أره منذ مدة طويلة . وأنت أيضا . يجب أن نقيم حفلا يوما ما . قالت "**سارة**" :

– ماما .. إني أريد أن أتحدث إليك .. قالت "**آن**" :

– نعم يا حبيبتي ؟ قالت "**سارة**" :

– ألا تستطيعين التوقف عن وضع المساحيق على وجهك والإصغاء إليّ ؟

بدت الدهشة على وجه "**آن**" وقالت : "**سارة**" أنت تبدين عصبية .. قالت "**سارة**" :

– أريد أن أتحدث إليك في موضوع خطير .. موضوع خاص بـ"**جيري**" .. قالت "**آن**" :

– أوه .. "**جيري**" .. حسنا ؟ قالت "**سارة**" :

– إنه يريدني أن أهجر "**لورانس**" وأسافر معه إلى "**كندا**" ..

زفرت "**آن**" زفرتين ثم قالت : ما هذا الكلام الفارغ ؟ مسكين حقا "**جيري**" .. إنه أكثر جنونا مما تصورته . قالت "**سارة**" في حدة :

– "**جيري**" ليس مجنونا . فقالت "**آن**" :

– أنا أعرف أنك كنت دائما تقفين في صفه ولكن ألا ترين الآن أنك أصبحت أكثر نضوجا من أن تهتمي بهذا الشاب الفاشل . قالت "**سارة**" :

– أنت لا تساعدينني يا ماما .. هذا موضوع خطير .. صاحت "**آن**" :

– هل تعنين أنك مهتمة بهذا العرض الأحمق ؟ قالت "**سارة**" :

– نعم . قالت "**آن**" :

– هذا غباء منك . قالت "**سارة**" :

– لقد أحببت "**جيري**" طول عمري .. ضحكت "**آن**" وقالت :

– ياللك من طفلة .. قالت "**سارة**" :

– ما كان يجب قط أن أتزوج "**لورانس**" . هذا أكبر خطأ ارتكبته في حياتي .
قالت "**آن**" في هدوء :

– سوف تتعودين على الزواج مع الوقت . قامت "**سارة**" وأخذت تسير في عصبية . قالت :

– لن أتعود قط على هذا الزواج .
إني أعيش في جحيم . قالت "**آن**" :

– لا تبالغي هكذا يا "**سارة**" .. قالت "**سارة**" :

– إنه حيوان .. حيوان عديم الشعور . قالت "**آن**" في عتاب :

– إنه يحبك يا "**سارة**" . قالت "**سارة**" :

– لماذا تزوجته ؟ لماذا ؟ لم أكن أريد الزواج . نعم ما كنت لأتزوجه لولا أنت .. قالت "**آن**" في غضب :

– لولا أنا ؟ لم يكن لي شأن قط بهذا الزواج ؟ قالت "**سارة**" :

– لقد حرضتني عليه . صاحت "**آن**" :

– يا للجحود .. لقد أخبرتك أنه سيئ السمعة وأنك تخاطرين بالزواج به .
قاطعتها "**سارة**" :

– نعم . أعترف بأنك قلت هذا ولكنك قلته بطريقة أفقدته أهميته . نعم . لقد أردتني أن أتزوج به . أنا واثقة الآن بذلك . لماذا ؟ هل لأنك كنت تريدين التخلص مني ؟

واجهت "**آن**" ابنتها وقالت :

– هذا كلام جاحد قاس ..

اقتربت "**سارة**" من أمها وأخذت تحدق إلى عينيها تبحث عن الحقيقة، قالت :

– أنا واثقة بصحة ما أقول . لقد أردتني أن أتزوج "**لورانس**" والآن وقد أسفر

ذلك الزواج عن شقائي وحياتي في جحيم لا يهمك شيء .. بل أشعر أحيانا أنك .. سعيدة .. صاحت "**آن**" :

– "**سارة**" .. قالت "**سارة**" :

– وهي لا تزال تحدق إلى عيني أمها : نعم .. سعيدة .. أنت سعيدة .. سعيدة لأنني تعيسة ..

لم تعد "**آن**" تجرؤ على مواجهة ابنتها فابتعدت عنها وسارت صوب الباب . تبعتها "**سارة**" وهي تهتف :

– لماذا يا ماما ؟ لماذا ؟ قالت "**آن**" :

– أنت تهرفين بما لا تعرفين .. ولكن "**سارة**" لم تيأس . قالت :

– أريد أن أعرف لماذا عملت على تعاستي ؟ تأوهت "**آن**" وقالت :

– لم أعمل قط على تعاستك . هذا كلام فارغ .. قالت "**سارة**" في توسل :

– ماما .. أنا ابنتك ... يجب أن تهمك سعادتي . قالت "**آن**" في برود :

– بالتأكيد تهمني سعادتك ، ماذا بعد ؟ قالت :

– لا . أعتقد أن اهتمامك بي قد مات منذ زمن بعيد .. لقد نأيت عني تماما .. إلى مكان لا أستطيع فيه الوصول إليك .

حاولت "**آن**" أن تتمالك نفسها . قالت بلهجة متكلفة : يأتي على جميع الأمهات وقت يجب عليهن فيه أن يتركن بناتهن ليقفن على أقدامهن . هذه سنة الحياة .

قالت "**سارة**" :

– ربما . ولكن الأم تقف دائما مع ابنتها عندما تصادفها المتاعب . قالت "**آن**" :

– ماذا تريدين مني يا "**سارة**" ؟ قالت "**سارة**" :

– أريد منك أن تقرري لي ما إذا كنت أسافر إلى "**كندا**" مع "**جيري**" أم أبقى مع "**لورانس**" . قالت "**آن**" :

– ابقي مع زوجك بالتأكيد . هذا ما تقوله الأخلاق الفاضلة . تنهدت "**سارة**" وقالت :

– ليس الأمر بهذه السهولة الأمر معقد جدا . هناك جانب من نفسي – الجانب الحقير – يود البقاء مع "**لورانس**" لأنه يخشى الفقر ويحب أن ينعم بالترف والدعة . أما الجانب الآخر الذي يريد أن يسافر مع "**جيري**" . فهو جانب جاد يحب "**جيري**" ويحب مساعدته .. وأنا أعرف أن "**جيري**" صالح في أعماقه وأنه سوف ينجح إذا كنت بجانبه . قالت "**آن**" :

– لا فائدة من محاولتك التأثير علي يا "**سارة**" لقد تزوجت "**لورانس**" بمحض إرادتك ويجب عليك أن تبقي معه .. قالت "**سارة**" :

– من الجائز أن .. ولكن "**آن**" قاطعتها :

– ذلك فضلا عن أنك لا تحبين حياة التعب والكفاح التي سوف تجدينها مع "**جيري**" ولعلك تكونين عقبة في طريقه بدلا من أن تكوني عاملا على نجاحه .. إنه من أجل "**جيري**" يجب أن تبقي مع "**لورانس**" .

ولكنها شعرت في الحال أنها أخطأت التعبير .

أما "**سارة**" فإنها سارت إلى المنضدة وأشعلت سيجارة ثم قالت وعلى وجهها ابتسامة غريبة :

– إنك تصلحين محاميا عن الشيطان يا ماما .. قالت "**آن**" :

– ماذا تعنين ؟

قالت "**سارة**" :

– ما السبب الحقيقي الذي يجعلك تكرهين سفري مع "**جيري**"؟ قالت "**آن**" :

– لقد قلت لك .. قاطعتها "**سارة**" :

– السبب الحقيقي يا ماما .. أنك خائفة .. أليس كذلك ؟ خائفة من أنني قد أجد السعادة مع "**جيري**" .. أليس كذلك ؟ قالت "**آن**" :

– بل أنا خائفة من أنك قد تجدين التعاسة مع "**جيري**" . قالت "**سارة**" :

– لا، لا . إن تعاستي لا تهمك . إنها سعادتي هي التي تضايقك. أنت لا تحبينني . بل أكثر من ذلك . هناك سبب يجعلك تكرهينني.. أليس كذلك ؟

أنت تكرهينني . تكرهينني بدون حدود .. قالت "**آن**" :

– "**سارة**" .. أنت مجنونة . قالت "**سارة**" :

– لا . لست مجنونة . إنني أقترب من الحقيقة أخيرا . أنت تكرهينني منذ زمن بعيد . منذ سنوات . لماذا ؟ قالت "**آن**" :

– هذا اختلاق محض .. قالت "**سارة**" :

– بل هو الحقيقة الناصعة . ولكن لماذا ؟ هذا ما أريد أن أعرفه. ليس السبب هو غيرتك مني لأني أكثر شبابا . هناك أمهات على هذه الشاكلة ولكنك لست واحدة منهن . لماذا تكرهينني يا ماما ؟ لابد لي أن أعرف . قالت "**آن**" :

– أنا لاأكرهك .. صاحت "**سارة**" :

– كفي عن الكذب بحق السماء . كوني صريحة . لماذا تكرهينني ؟ ما الذي فعلته حتى استحققت عليه كراهيتك ؟ لقد كنت أعبدك طول حياتي كنت أحاول دائما أن أكون مطيعة لك . قالت "**آن**" :

– في صوت يقطر بالمرارة والكره : أنت تتكلمين كأن التضحيات كانت من جانبك أنت . قالت "**سارة**" في دهشة :

– التضحيات ؟ أي تضحيات ؟ قالت "**آن**" بنفس اللهجة القاسية :

– لقد منحتك حياتي كلها . ضحيت بكل شيء من أجلك . وأنت حتى لا تتذكرين ذلك .قالت "**سارة**" في ذهول :

– أنا لا أدري عم تتحدثين . قالت "**آن**" :

– لا . أنت لا تدرين . إنك لم تذكري اسم "**ريتشارد كولدفيلد**" عندما كلمني في التليفون . قلت :« من هو "**ريتشارد كولدفيلد**" ؟ » .

بدأت الحقيقة تسطع أمام "**سارة**" . قالت :

– "**ريتشارد كولدفيلد**" ؟ . قالت "**آن**" :

– نعم . "**ريتشارد كولدفيلد**" . لقد كرهته من البداية ولكني كنت أحبه . كنت أحبه من أعماقي .

لم أرد من الدنيا شيئا إلا الزواج به . ومن أجلك أنت ضحيت به . قالت

"**سارة**" :

– ماما . . . قالت "**آن**" :

– كان لي أيضا الحق في البحث عن السعادة . قالت "**سارة**" :

– لم أكن أعرف . . لم أكن أعرف أنك تحبينه إلى هذا الحد . قال "**آن**" :

– لأنك لم تريدي أن تعرفي . أغلقت عينيك عن حبي له . فعلت كل ما في استطاعتك لتمنعي زواجي به . أليس كذلك . قالت "**سارة**" في تلعثم :

– بلى . هذا صحيح . كنت أظن كنت أظن . . أنك لن تسعدي معه . صاحت "**آن**" في وحشية :

– ما الذي أعطاك الحق في أن تفكري لغيرك ؟ قالت "**سارة**" في صوت باك :

– لم أكن أعرف يا ماما . . لم أكن أعرف . . قالت "**آن**" :

– كان في الإمكان أن أكون سعيدة معه . . كان فرصتي الأخيرة في السعادة . كان رجلا وحيدا فقد زوجته وطفله وكان محتاجا إلى حناني وكنت محتاجة إلى حبه . . كنا سنخطو نحو الشيخوخة معا ، ولكني طردته في قسوة من أجلك أنت . . قالت "**سارة**" :

– كان يجب أن تتزوجيه يا ماما مادام الأمر مهما إلى هذه الدرجة . . صاحت "**آن**" :

– كيف ؟ هل نسيت مضايقاتك له ومشاجراتك معه ؟ كنت تهاجمينه متعمدة كان ذلك جزءا من تخطيطك لتحطيم الزواج . نعم ، كان ذلك جزءا من تخطيطك لتحطيم الزواج . استمرت "**آن**" تقول :

– وجدت نفسي ممزقة بينكما ، ثم فاجأني "**ريتشارد**" بأنني يجب أن أختار واحدا منكما . كنت من لحمي ودمي فاخترتك أنت . قالت "**سارة**" :

– وكرهتني إذن منذ هذه اللحظة . .

ثم سارت نحو الباب وهي تقول : الآن تعرف كلتانا موقف الأخرى منها . لقد كرهتني لأنني حطمت حياتك يا ماما . حسنا . أنا أيضا أكرهك؛ لأنك حطمت حياتي . قالت "**آن**" في حدة :

– أنا لم أحطم حياتك . لقد اخترت زوجك بنفسك . قالت "**سارة**" :

– لا يا ماما . كفي عن النفاق . لقد جئتك طالبة مساعدتي في ألا أتزوج "**لورانس**" . كنت تعرفين أنني متعلقة به ولكنني لا أريد الارتباط به .

وقد بذلت جهدك حتى تزوجت به . كنت بارعة جدا . عرفت ماذا تقولين وماذا تفعلين . . . والآن ألست سعيدة لأنني أعيش في جحيم ؟

صرخت "**آن**" وقد فقدت وعيها :

– نعم . . لقد نلت جزاءك . .

ضحكت "**سارة**" ضحكة ميتة ثم قالت :

– هذه هي الحقيقة . . . وداعا يا ماما العزيزة . .

ثم خرجت من الحجرة إلى حجرة الاستقبال حيث تناولت معطفها وخرجت.

بقيت "**آن**" بمفردها في الحجرة وفجأة خانتها أعصابها فألقت بنفسها فوق السرير وهي تبكي من الأعماق .

دخلت "**أديث**" الحجرة وأخذت تربت على كتف سيدتها . تشبثت "**آن**" بساعد خادمتها المخلصة وهي تهتف :

– لقد هجرتني "**سارة**" يا "**أديث**" . قالت "**أديث**" :

– لا لا . هذا خلاف لن يدوم . . قالت "**آن**" :

– أوه . . لقد حطمت حياتها يا "**أديث**" . لقد كنت أما قاسية . . أما قاتلة . . لماذا فعلت ذلك ؟ هل كنت أكرهها ؟ "**سارة**" الصغيرة الجميلة . . قالت "**أديث**" :

– لم تكرهيها . لا تقولي هذا . . قالت "**آن**" :

– بل كرهتها . أردتها أن تتعذب كما تسببت في عذابي . . كل هذه السنوات وكراهيتها في أعماقي . قالت "**أديث**" :

– إن بكاءك هذا دليل على حبك لها وندمك على ما حدث . . قالت "**آن**" :

– ولكنني لن أراها أبداً. لقد هجرتني إلى الأبد . قالت "**أديث**" :

– «إلى الأبد . .» هذه جملة لن تتحقق أبدا .

الغفران

عادت "**سارة**" إلى منزلها وقصدت توا إلى الحجرة التي يسميها زوجها (الاستوديو) . وجدته ينظر إلى تمثال صغير اشتراه من فنان فرنسي منذ أيام.

قال لها عندما رآها :

– ما رأيك في هذا التمثال ؟ جميل .. أليس كذلك ؟

كان التمثال يمثل امرأة عارية وقد تفنن المثال في جعله ينطق بالشهوة والجنس.

أشاحت عنه "**سارة**" في ازدراء ثم قالت :

– "**لورانس**" أريد أن أتحدث معك في شيء .. أعتقد أني سوف أتركك .

لم يبد عليه أي تأثر . قال في عدم اكتراث :

– ذلك يكون تصرفا خاليا من الحكمة . قالت :

– هل هذا تهديد ؟ قال :

– لا . إنه إنذار مهذب . ثم لماذا تتركينني ؟ لقد تركتني زوجات قبلك ولكن كان عندهن أسباب لا تتوفر لك . أنا لم أحطم قلبك مثلا . أنا أعلم جيدا أنه لا مكان لي في قلبك وأنك لا تزالين .. قاطعته :

– المحظية المفضلة ؟ قال :

– إذا شئت هذا التعبير الشرقي . نعم يا "**سارة**" أنا أجدك امرأة كاملة . حتى طهارتك تعطي نكهة خاصة لـ. . ماذا أسميها ؟ طريقتنا الوثنية في الحب ؟ لماذا تريدين أن تهجريني ؟ قالت :

– هل يهمك حقا معرفة السبب ؟ لا تتظاهر بأنك تحبني .. قال :

– ولكن فقداني لك سوف يضايقني كثيرا .. أنت الآن تحفتي الممتازة . قالت :

– إذن فاعلم أنني أحب رجلا آخر وأنني سوف أسافر معه .. قال :

– تاركة خطاياك خلف ظهرك ؟ قالت :

– ماذا تعني ؟ قال :

– أنا أتساءل فقط عما إذا كان هذا أمرا سهلا . أنت مدمنة مخدرات، المتعة تجري في عروقك . هل في إمكانك أن تستغني تماما عن هذه الأحاسيس؟ عن هذه المسرات ؟ تذكري ذلك المساء الذي قضيناه في "**ماريانا**" .. تذكري "**تشاركوت**" وأوضاعه المختلفة . هذه الأشياء يا "**سارة**" لا يمكن الاستغناء عنها بسهولة .

قالت "**سارة**" وهي تشعر بخوف بداخلها :

– أعرف . أعرف .. ولكن المرء يستطيع أن يستغني عن كل شيء .قال :

– حقا ؟ أنت غارقة حتى أذنيك يا "**سارة**" .. قالت :

– ولكني سوف أخرج . سوف أخرج . سوف أنتصر على نفسي ..

- 2 -

هتفت "**لورا ويتستابل**" :

– "**سارة**" .. هذه مفاجأة ..

كانت "**سارة**" تلهث وهي في حالة انفعال شديد . قالت "**لورا**" :

– لم أرك منذ زمن بعيد .. قالت "**سارة**" :

– أعرف ذلك .. أوه .. "**لورا**" .. أنا في محنة رهيبة .. قالت "**لورا**" :

– اجلسي وحدثيني عن كل شيء .. قالت "**سارة**" :

– هل في الإمكان أن يكف المدمن عن تعاطي المخدرات ؟ قالت "**لورا**" في لطف :

– الإجابة عن هذا السؤال تتوقف على المدمن نفسه . إنه ليس سهلا وهو أصعب على النساء منه على الرجال . ثم هو يتوقف على المدة التي كان الإنسان فيها يتعاطى ذلك المخدر وإلى أي مدى أصبح معتادا عليه ومدى الشجاعة التي عند الإنسان ، ثم الطريقة التي يقضي بها الإنسان أيامه والعمل الذي يشغله عن المخدرات . ومن العوامل المساعدة أيضا وجود إنسان مخلص بجوار المريض .

تهلل وجه "**سارة**" وقالت :

– حمدا لله إذن .. سوف يكون كل شيء على ما يرام. أنا مقبلة على حياة لن يكون عندي فيها دقيقة فراغ واحدة . سوف أشتغل كالمجانين طول اليوم . وبجانبي الإنسان المخلص الذي يشد أزري ويساعدني..

قالت "**لورا**" :

– هناك إذن أمل يا "**سارة**" .. أنا أشعر بأنك نضجت فجأة .

قالت "**سارة**" :

– نعم . ولو أن نضوجي استغرق وقتا طويلا . لقد كنت أتهم "**جيري**" بأنه ضعيف ولكنني أنا الضعيفة حقا .

ثم اكفهر وجهها وقالت :

– "**لورا**" . لقد كنت فظيعة مع أمي . لقد عرفت اليوم فقط أنها كانت تحب "**كولدفيلد**" حقا . فهمت اليوم معنى كلامك عن ضحايا القرابين . لقد كنت سعيدة بنجاح خطتي لمضايقة ذلك الرجل المسكين بينما الحقيقة أنني كنت غيورة وطفلة وعنيدة وعمياء . لقد جعلت أمي تطرده وجعلتها بذلك تكرهني ولو أنها لم تقل ذلك قط إلا أن كل شيء سار على غير ما يرام بعد ذلك .

لقد تشاجرت اليوم مع ماما ووجهت إليها أفظع الاتهامات . والآن .. لم أعد أدري ماذا أفعل .. كيف أستطيع تعويضها عن هدم حياتها ؟ لا فائدة . لقد فات الأوان ..

قالت "**لورا**" :

– ليس هناك مضيعة للوقت أكثر من قول الكلام المناسب لغير الشخص المناسب .

- 3 -

– آلو .. آلو .. أنا "**لورا ويتستابل**" .. من المتحدث ؟

قالت "**أديث**" :

– أنا "**أديث**" يا آنسة "**لورا**" .. أنا أتكلم بخصوص السيدة

"**برنتيس**" .. إنها في حالة سيئة للغاية . لقد فقدت شهيتها للطعام تماما وتجلس في حجرتها صامتة لا تفعل شيئًا ولا تقول شيئا ؛ إلا أنها تبكي باستمرار ، وأنا خائفة عليها . لو أنك رأيتها لسال الدم من قلبك حزنا عليها . قالت "**لورا**" :

– لا تستعملي هذه التعبيرات المضحكة يا "**أديث**" . الدم لا يسيل من القلب إلا إذا أصابته طعنة خنجر . قالت "**أديث**" :

– لقد بدأ كل شيء من اليوم الذي تشاجرت فيه سيدتي مع السيدة "**سارة**" وقد اختفت السيدة "**سارة**" منذ شهر . قالت "**لورا**" :

– إنها ليست في "**لندن**" . إنها في الريف . وعندما تعود إلى "**لندن**" سوف تسافر مع "**جيري ليولد**" إلى "**كندا**" . قالت "**أديث**" :

– ولكن هذا خطأ فاحش .. هل تترك زوجها ؟ ولو أنني لا ألومها كثيرا .. إن زوجها يبدو وكأنه قد باع روحه للشيطان .

ضحكت "**لورا**" ثم قالت :

– أوافقك على ذلك من كل قلبي .. قالت "**أديث**" :

– ولكن ألن تأتي السيدة "**سارة**" لتودع السيدة "**برنتيس**" ؟ قالت "**لورا**" :

– لا أعتقد .. قال "**أديث**" :

– هذه قسوة فظيعة .. قالت "**لورا**" :

– أنت لا تفهمين شيئا .. قالت "**أديث**" :

– أنا أفهم ما يكفي لأن أعرف كيف تتصرف الابنة العاقلة حيال أمها . ألا يمكنك التدخل يا آنسة "**لورا**" ؟ قالت "**لورا**" :

– أنا لا أتدخل أبدًا . قالت "**أديث**" في غيظ :

– لا تؤاخذيني إذن .. أنا أعرف أنك امرأة شهيرة وسيدة ذكية وأنا مجرد خادمة ولكني أعتقد أن هذا هو الوقت المناسب لتدخلك .

ثم وضعت السماعة بوجه متجهم .

- 4 -

قالت "**آن**" في شرود :

– ماذا قلت يا "**أديث**" ؟ قالت "**أديث**" :

– كنت أقول إنك لم تصبغي شعرك منذ أيام وإن الشعيرات البيضاء بدأت تخالط السوداء .. قالت "**آن**" :

– لم يعد يهمني ذلك . أفضل أن يبدو شعري رماديا . قالت "**أديث**" :

– إنه سوف يجعلك تبدين وقورة ولكنه سوف يبدو مضحكا أيضا عندما يكون نصفه رماديا ونصفه أسود . قالت "**آن**" :

– لايهم . لا شيء يهم . ماذا يهم في تتابع الأيام يوما وراء يوم ؟ "**سارة**" لن تصفح عني قط وهي على حق أيضا .

دق جرس التليفون فرفعت "**آن**" السماعة بدون حماس . كان المتحدث هو "**لورا**" . قالت "**لورا**" :

– "**آن**" .. أنا أكره التدخل في شؤون الآخرين . ولكن هناك شيئًا أعتقد أنك يجب أن تعرفيه .

إن "**سارة**" و"**جيري**" سيسافران الليلة في طائرة الثامنة والنصف مساء إلى "**كندا**" . هتفت "**آن**" :

– ماذا ؟ أنا لم أر "**سارة**" منذ أسابيع .. قالت "**لورا**" :

– لا .. لقد كانت تتعالج في مصحة في الريف . قالت "**آن**" :

– أوه .. "**لورا**" .. هل هي بخير الآن ؟ قالت "**لورا**" :

– نعم . لقد قاست كثيرا في أثناء العلاج ولكنها خرجت بنجاح .أنا فخورة بابنتي في العماد .

قالت "**آن**" في صوت منكسر :

– "**لورا**" .. لقد حطمت حياة "**سارة**" .. إنها لن تصفح عني أبداً ..

قالت "**لورا**" : كلام فارغ .. لا أحد يستطيع أن يحطم إنسانا آخر .. لا تكوني ميلودرامية هكذا .. وكفى ولولة . قالت "**آن**" :

– ولكنها الحقيقة . أنا أعرف نفسي الآن وأعرف ماذا فعلت . قالت "**لورا**" :

– هذا حسن ، ولكنك عرفت ذلك منذ فترة . ألا يحسن بك أن تنتقلي إلى الخطوة التالية ؟ قالت "**آن**" :

– أنت لا تفهمين يا "**لورا**" .. أنا أشعر بأن ضميري سوف يقتلني . قالت "**لورا**" :

– اسمعي يا "**آن**" .. هناك نوعان من الحديث لا أطيق سماعهما . النوع الأول : عندما يتكلم إنسان عن نفسه ويصف نفسه بالنبل والكرم . والنوع الثاني : عندما يعترف لي إنسان بمدى حقارته ووضاعته . مادمت قد عرفت ما أنت عليه، هيا إذن .. إلى الخطوة التالية .. لن تستطيعي تجميد الزمن أو إعادته، استمري في الحياة . قالت "**آن**" :

– ماذا أستطيع أن أفعل الآن من أجل "**سارة**" ؟ قالت "**لورا**" :

– لقد خالفت مبدئي وتدخلت .. ولكني لن أنحدر إلى مستوى إعطاء النصائح .. ثم وضعت السماعة في حزم .

سارت "**آن**" حتى جلست على الأريكة وأخذت تفكر . "**سارة**" .. "**جيري**" .. هل ينجح زواجهما ؟ هل تجد "**سارة**" العزيزة السعادة أخيرا ؟ إن "**جيري**" شخص ضعيف ولكنه (يحب) "**سارة**" حقا .

مر الوقت و"**آن**" لا تزال جالسة . دخلت "**أديث**" وقالت :

– السيد "**موبراي**" يسأل عنك يا سيدتي .. أفاقت "**آن**" من شرودها . قالت :

– ماذا تقولين ؟ قالت "**أديث**" :

– السيد "**موبراي**" في انتظارك في حجرة الاستقبال .

قفزت "**آن**" من مكانها . نظرت إلى الساعة .. فيم كانت تفكر ؟ إن "**سارة**" على وشك الرحيل ..الليلة .. إلى نهاية العالم . وقد لا تراها ثانية .. جرت من مكانها كالمجنونة واختطفت معطفها وهرعت نحو باب الشقة وهي تنادي "**بازيل موبراي**" .. أرجوك .. أوصلني إلى مطار "**لندن**" .. بأقصى سرعة ..

طارت السيارة تطوي شوارع "**لندن**" ..

قال "**بازيل**" وهو يقود السيارة :

– ولكن يا عزيزتي "**آن**" ما معنى كل هذا ؟ قالت "**آن**" :

– إنها "**سارة**" .. سوف تسافر الليلة إلى "**كندا**" وأريد أن أودعها..

قال :

– أليس ذلك متأخرا قليلا ؟ قالت :

– بل متأخرا كثيرا ولكني أرجو أن أصل قبل قيام الطائرة .. بسرعة يا "**بازيل**" .. بسرعة .. بسرعة قال "**بازيل**" :

– كنت أعتبرك دائما امرأة عاقلة يا "**آن**" .. قالت "**آن**" :

– بحق السماء يا "**بازيل**" .. لا تتحدث وفقط أسرع ..

- 5 -

جلس المسافرون إلى "**كندا**" في مقاعدهم في انتظار قيام الطائرة .

قال "**جيري**" لـ"**سارة**" : ألست نادمة ؟

هزت "**سارة**" رأسها في ثقة . كانت تبدو هزيلة بعد آلام المعاناة التي خاضتها من إدمان المخدرات ولكن عينيها كانتا مليئتين بالثقة والنضوج . قالت لنفسها :« إن "**جيري**" كان يريدني أن أذهب لوداع ماما ولكنه لا يفهم أنني لا أستطيع . لو كان في إمكاني أن أعوضها عما تسببت في حرمانها منه . ولكني لا أستطيع . إن جريمتي في حق ماما فوق كل صفح وغفران » .

كانت سعيدة لسفرها مع "**جيري**" بعد طلاقها من "**لورانس**" ولكن صوتا كان يهمس في أعماقها : « أنا ذاهبة بعيدا يا ماما .. أنا ذاهبة بعيدا يا ماما . » ثم حان وقت قيام الطائرة وقام المسافرون يحملون حقائبهم ويسيرون إلى مكان الطائرة وسارت "**سارة**" تتأبط ساعد "**جيري**" .

– "**سارة**" ..

دارت "**سارة**" فرأت أمها . كانت "**آن**" تجري وهي تلهث ومعطفها يكاد ينزلق من فوق كتفها وشعرها الرمادي يتطاير في الهواء . صاحت "**سارة**" :

– ماما .. ماما .. ثم ألقت بنفسها في أحضان أمها .

كانت "**آن**" تبكي وقد نسيت كل الكلام الذي كانت تنوي أن تقوله لـ"**سارة**" . شعرت بأنه لم يعد هناك حاجة للكلام .

و"**سارة**" أيضا لم تقل (سامحيني يا ماما) لأنه كان سيكون كلاما بدون معنى .

قالت "**سارة**" تطمئن أمها :

– سوف أكون بخير يا ماما . قال "**جيري**" :

– اطمئني يا سيدة "**برنتيس**" . إنها في رعايتي ..

ابتسمت "**آن**" من خلال دموعها وقالت :

– أنا أعرف ذلك .. قالت "**سارة**" :

– حافظي على نفسك يا ماما .. وقالت "**آن**" :

– نعم يا حبيبتي . سوف أكون بخير تماما . وداعا يا طفلتي العزيزة . بارككما الله .

ثم سار الشابان وصعدا إلى الطائرة ووقفت "**آن**" تراقبهما حتى أقلعت الطائرة .

قال "**بازيل**" وهما في السيارة في طريق العودة :

– أين تحبين أن نقضي السهرة هذا المساء ؟

قالت "**آن**" في لطف :

– أرجو ألا تتضايق يا "**بازيل**" ولكني أفضل أن أعود إلى البيت . قال :

– حسنا يا عزيزتي .. سوف أوصلك إلى البيت ..

لقد كانت "**آن**" تعتبر "**بازيل**" دائما (شخصا مسليا) ولكنها شعرت الليلة أنه عطوف وأنه وحيد في هذه الدنيا .

قال "**بازيل**" في قلق :

– ولكن يا "**آن**" ألا يحسن أن تتناولي طعاما ما في الخارج ؟ قد لا تجدين

شيئا في الشقة . قالت له :

– اطمئن . سوف تصنع لي "**أديث**" بيضا مقليا وتقدمه لي وأنا جالسة أمام المدفأة ومعه فنجان من الشاي .

وعندما وصلت "**آن**" إلى الشقة استقبلتها "**أديث**" بنظرة فاحصة ثم قالت بلهجة الأمر :

– اذهبي واجلسي بجوار المدفأة .

قالت "**آن**" : سوف أتخلص أولا من ثيابي السخيفة هذه وأرتدي ثوبا مريحا. قالت "**أديث**" :

– سوف أحضر لك ذلك الثوب الأزرق المريح الذي أعطيته لي منذ سنوات . إنه أفضل بكثير من هذه الأشياء التي ترتدينها . أنا لم أستعمله قط لأني كنت أنوي أن أدفن فيه بعد موتي .

وهكذا تمددت "**آن**" أمام المدفأة وهي ترتدي ذلك الثوب القديم المريح ، وبعد قليل جاءت "**أديث**" تحمل صينية الطعام والشاي ثم وضعتها على منضدة في متناول يد سيدتها . قالت :

– سوف أمشط لك شعرك بعد العشاء . ابتسمت "**آن**" وقالت :

– لماذا تعاملينني كأني طفلة يا "**أديث**" ؟ قالت "**أديث**" :

– هذه هي الصورة التي أراك عليها دائما . قالت "**آن**" :

– "**أديث**" .. لقد قابلت "**سارة**" الليلة .. وكل شيء على ما يرام.. قالت "**أديث**" :

– بالتأكيد كل شيء على ما يرام . إني لم أتصور عكس ذلك لحظة واحدة.

ثم وقفت لحظة تنظر إلى سيدتها في عطف وحب ثم خرجت .

قالت "**آن**" لنفسها وهي تشعر بالسلام يغمرها « ما أجمل ذلك السلام الرائع.. السلام الذي يمنحه الله للقلوب القانعة والنفوس الراضية ..! »

الزائر الغريب

وقفت بباب مكتب "**جيمس هاركر**" - سمسار العقارات بمدينة "**أيفي كورنرز**" - سيارة فخمة تدل لوحتها المعدنية على أنها من "**نيويورك**" . ولم يكن "**هاركر**" بحاجة إلى النظر إلى لوحة السيارة لكي يعلم أن صاحبها ليس من أهل المدينة، فقد كانت سيارة حمراء فارهة لا مثيل لها في "**أيفي كورنرز**" ، وكان صاحبها رجلا قصير القامة بدينا لم يسبق لـ"**هاركر**" أن رآه .

وغادر الرجل سيارته ووقف على إفريز الشارع يتأمل اللافتة الكبيرة التي وضعها "**هاركر**" على باب مكتبه .

قال السمسار يحدث سكرتيرته التي كانت وقتئذ في شغل بقراءة إحدى القصص :

- تظاهري بالاستغراق في العمل يا "**هيلين**" ، فقد جاء زبون .

فأخفت الفتاة القصة في أحد الأدراج ، ووضعت ورقة بيضاء في الآلة الكاتبة وسألت السمسار :

- ماذا أكتب يا سيد "**هاركر**" ..؟

- أي شيء .. أي شيء .

وفتح الرجل الباب الزجاجي ودخل ، وراح ينقل بصره بين السكرتيرة ، والسمسار ، ثم أحنى رأسه لهذا الأخير محييا وقال متسائلا :

- هل أنت السيد "**هاركر**" ..؟

- نعم يا سيدي ... فماذا أستطيع أن أفعل من أجلك ..؟

فلوح الرجل بصحيفة في يده وأجاب :

- لقد قرأت إعلانا عن مكتبك في هذه الصحيفة .

- نحن ننشر هذا الإعلان في "**التيمس**" مرة كل أسبوع ؛ لأن الكثيرين من أهل المدن الكبرى يتوقون إلى شراء بيوت في المدن الصغيرة الهادئة ... يخيل إلي أنك من "**نيويورك**" يا سيد ..

فقال الرجل :

– "**بيري**" .. "**إدجار بيري**" ..

وأخرج من جيبه منديلا جفف به عرقه وقال :

– إن الطقس حار اليوم .

– هذه موجة طارئة لن تستمر طويلا ، فإن جو هذه المدينة معتدل بصفة عامة؛ لأنها تقع على ضفة بحيرة كبيرة لا شك أنك مررت بها وأنت في طريقك إلينا، ألا تتفضل بالجلوس يا سيد "**بيري**" ..؟

– شكرا .

وتهالك الرجل البدين على أحد المقاعد ، وتنهد بارتياح وقال :

– لقد طفت بأرجاء المدينة قبل قدومي إليك وهي في الحق مدينة صغيرة هادئة .

– إنها لكذلك .. هل لك في لفافة تبغ يا سيد "**بيري**" ..؟

– لا .. شكرا .. ثم إن وقتي ضيق . فهل نستطيع التحدث فورا فيما جئتك من أجله ..؟

– بالتأكيد .. بالتأكيد .

ثم وجه حديثه إلى الفتاة قائلا :

– هلا كففت عن الكتابة الآن يا "**هيلين**" .. ؟ إن ضوضاء الآلة الكاتبة لا تحتمل .

– حسنا يا سيد "**هاركر**" .

– والآن يا سيد "**بيري**" ... هل وقع اختيارك على بيت معين تريد شراءه..؟

– الواقع أنني رأيت بيتا على مشارف المدينة .. وأريد أن أعرف شيئا عنه.. .إنه بيت قديم يخيل إلي أنه مهجور ..

– هل هو قائم على أعمدة وتحيط به حديقة واسعة ..؟

– نعم ، وقد رأيت عليه لوحة تدل على أنه معروض للبيع .

فهز "**هاركر**" رأسه في حزن وقال :

– هذا البيت غير جدير باهتمامك يا سيدي .

– لماذا . . ؟

فقدم إليه "**هاركر**" قائمة بالبيوت المعروضة للبيع وقال :

– اقرأ ما كتب عنه في هذه القائمة .

وقرأ السيد "**بيري**" :

– بيت قديم يتألف من ثماني غرف ، وحمامين ، وتحيط به حديقة كبيرة ، وموقعه قريب من السوق والمدارس ، الثمن 75 ألف دولار .

قال "**هاركر**" :

– ألا يزال يهمك شراء هذا البيت يا سيد "**بيري**" . . ؟

– ولم لا . . ؟ هل ثمة ما يمنعني من شرائه . . ؟

فحك "**هاركر**" رأسه وأجاب :

– إذا كانت هذه المدينة قد أعجبتك حقا . . . وكان في نيتك الإقامة بها ، فإنني أستطيع أن أعرض عليك بيوتا أفضل من هذا بكثير .

– صبرا لحظة . . . لقد جئتك للاستفسار عن هذا البيت بعينه ، فهل تريد أن تبيعني إياه أم لا تريد . . ؟

فارتسمت على شفتي "**هاركر**" ابتسامة ساخرة وأجاب :

– دعني أوضح لك الأمر يا سيد "**بيري**" . . منذ خمس سنوات جاءتني السيدة "**فلورنس جريم**" عقب وفاة ابنها وطلبت إليَّ التوسط في بيع بيتها . . ولكن قلت لها في صراحة إن الثمن الذي تطلبه مبالغ فيه كثيرا ، وإن البيت لا يساوي أكثر من عشرة آلاف دولار .

ولم يستطع السيد "**بيري**" إخفاء دهشته ، وصاح :

– كيف تطلب إذن خمسة وسبعين ألف دولار ثمنا لبيت لا يساوي أكثر من عشرة آلاف . . ؟

– أرجو ألا تسألني عن ذلك ، إن البيت قديم فعلا ويكاد أن يكون أثريا ، ولكن بعض أعمدته توشك أن تنهار ، وقبوه مليء من الماء ، وطابقه العلوي

مائل نحو خمسة عشر سنتيمترا .

– إذن لماذا تطلب هذا المبلغ الباهظ ثمنا لبيت متداع ..؟

فهز "**هاركر**" كتفيه وأجاب :

– لعلها تفعل ذلك لأسباب عاطفية ، فالبيت مملوك لأسرتها منذ حرب الاستقلال .

فأطرق السيد "**بيري**" برأسه وغمغم قائلا كمن يحدث نفسه :

– هذا أمر يؤسف له .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة وقال يحدث السيد "**هاركر**" :

– لا أكتمك أن البيت أعجبني لحسن موقعه ... وكنت أفكر فيه باعتباره المكان الذي طالما حلمت بالإقامة في مثله .

– الواقع أنه صفقة طيبة بمبلغ عشرة آلاف دولار ... أما أن يدفع المشتري خمسة وسبعين ألفا ...

وقلب شفته وضحك ثم استطرد قائلا :

– إنني أفهم وجهة نظر صاحبته ... وأعرف طريقة تفكيرها ... إن إيرادها ضئيل . وكان ابنها يساعدها بالمال حين كان يعمل في "**نيويورك**" ويربح كثيرا . .ثم مات الابن ووجدت المرأة أن من الأوفق أن تبيع البيت ، ولكنها لم تستطع إقناع نفسها بالتخلي عنه ... بعد أن عاشت فيه هي وأسرتها أكثر من قرن من الزمان ، ولهذا حددت له ثمنا باهظا لا يقبله أحد .. وبذلك أرضت ضميرها .

– إن بعض الناس ينتحون في تفكيرهم نحوا عجيبا .

فقال السيد "**بيري**" وهو مستغرق في التفكير :

– نعم .. هذا صحيح .

ثم نهض واقفا وقال :

– لقد خطر لي خاطر يا سيد "**هاركر**" ... لماذا لا تدعني أتصل بالسيدة "**جريم**" وأتفاوض معها ، فربما استطعت إقناعها بخفض الثمن .

– سوف تضيع وقتك سدى يا سيد "**بيري**" ... إنني أحاول منذ خمسة أعوام.

– من يدري .. ؟ ربما إذا حاول ذلك أحد سواك ..

– جرب حظك إذن وأنا على أتم استعداد لمعاونتك .

– حسنا .. إذن سأمضي إليها الآن ..

– لا بأس .. سأتصل بها تليفونيا على الفور لأنبئها بقدومك .

◆◆◆◆◆

واجتاز السيد "**بيري**" شوارع المدينة الصغيرة الهادئة بسيارته الحمراء الكبيرة ووصل إلى بيت أحلامه دون أن يلتقي في طريقه بأية سيارة أخرى .

ودق باب البيت ، ففتحته سيدة قصيرة القامة ، بدينة الجسم ، قد وخط الشيب شعرها ، وأحدثت السنون في وجهها أخاديد عميقة تلتقي كلها عند ذقن ينم عن العناد وقوة الإرادة .

قالت :

– لابد أنك السيد "**بيري**" ، لقد اتصل بي "**هاركر**" وأنبأني بقدومك .

فأجاب "**بيري**" وهو يضع على شفتيه أعذب ابتسامة :

– نعم يا سيدتي ... هل تسمحين لي بالدخول ..؟ إن الحر لا يطاق .

– أعلم ذلك ، وقد أعددت لك قدحا من عصير الليمون المثلج ، تفضل بالدخول يا سيدي .. ولكن لا تتوقع الدخول معي في مساومات .. فإنني لست ممن يساومون .

فأجاب في أدب :

– أعلم ذلك يا سيدتي .

وتبعها إلى الداخل .

وكان البيت مظلما رطبا ، فقادته السيدة إلى قاعة استقبال فسيحة تبعثرت في أرجائها قطع من الأثاث لا طراز لها ولا لون.

وجلست المرأة على أحد المقاعد وعقدت ساعديها فوق صدرها بحزم وقالت :

– إذا كان لديك ما تريد قوله يا سيد "**بيري**" فقله على الفور .

فتنحنح "**بيري**" ليجلو صوته ، وقال في رقة ودعة :

– لقد تحدثت إلى السمسار بشأن هذا . . .

فقاطعته قائلة :

– أعلم كل ذلك ، ولكن "**هاركر**" كان مغفلا حين شجعك على القدوم لمساومتي ومحاولة إقناعي بخفض ثمن البيت ، فليس من اليسير على من كانت في مثل سني أن تتزحزح عن رأيها .

فقال الرجل متلعثما .

– الواقع يا سيدتي . . . إن هذه لم تكن نيتي ، إنما كنت أريد أن أتجاذب معك أطراف الحديث .

فتراخت المرأة في مقعدها وقالت :

– الكلام مباح ، فقل ما بدا لك .

فقال "**بيري**" وهو يجفف عرقه :

– سأوضح لك الموقف بإيجاز . . . إنني رجل أعمال ، وأعزب . . وقد كافحت طويلا وجمعت ثروة لا بأس بها ، وآن لي أن أستريح ، وأقضي بقية حياتي في مكان هادئ . لقد أعجبتني هذه المدينة . . . وأذكر أنني مررت بها في إحدى جولاتي وقلت لنفسي حبذا لو أجد بها بيتا يصلح لإقامتي .

وقد جئت اليوم إلى هذه المدينة ، ورأيت هذا البيت ، وخيل إليّ أنه ضالتي المنشودة .

– أنا أيضا أحب هذا البيت يا سيد "**بيري**" ، والثمن الذي ذكره لك السيد "**هاركر**" معتدل جدا .

– خمسة وسبعون ألفا ليست ثمنا معتدلا يا سيدة "**جريم**" . إن بيتا كهذا لا يتكلف في هذه الأيام أكثر من . .

فقاطعته المرأة صائحة :

– كفى .. كفى يا سيد "**بيري**" ... قلت لك إنني لست على استعداد للمساومة... فإذا لم تكن على استعداد لدفع الثمن الذي طلبته ، فأرجو أن تعتبر الموضوع منتهيا .

– ولكن ...

– طاب يومك يا سيد "**بيري**" ..

ونهضت واقفة ، كأنما لتوحي إليه بالانصراف ، ولكنه لم يبرح مكانه وهتف قائلا :

– صبرا لحظة يا سيدتي .. صبرا لحظة .. إنه ثمن خيالي .. ولكن .. ولكن لا بأس .. سأدفع ما تطلبين .

فرمقته بنظرة فاحصة طويلة ثم قالت ببطء :

– هل أنت واثق بذلك يا سيد "**بيري**" ..؟

– كل الثقة ... عندي مال كثير . وما دامت هذه إرادتك ... فليكن ما تريدين.

فقالت وعلى شفتيها ابتسامة غامضة :

– لابد أن يكون عصير الليمون قد أثلج الآن .. سآتيك بقدح منه ، ومن ثم أحدثك عن هذا البيت ...

وجفف "**بيري**" عرقه ، وتناول قدح العصير المثلج الذي جاءت به المرأة على صحفة صغيرة ، وتجرع الشراب بشراهة .

وقالت العجوز وهي تسترخي في مقعدها :

– لقد امتلكت أسرتي هذا البيت منذ سنة 1802 ، وكان قد بني قبل ذلك بنحو خمسة عشر عاما .. وجميع أفراد الأسرة – فيما عدا ابني "**ميشيل**" – قد ولدوا في غرفة النوم بالطابق الثاني ... أنا الوحيدة التي شذذت عن أمهات الأسرة ... وضعت "**ميشيل**" في إحدى المستشفيات .

ولمعت عيناها الضيقتان واستطردت قائلة :

– أنا أعلم أنه ليس أفضل بيت في المدينة . ومنذ بضعة أعوام امتلأ قبوه من

الماء . ولم يجف تماما منذ ذلك الوقت .

وقد توفي زوجي ولما يبلغ "**ميشيل**" التاسعة من عمره ، وضاق بنا الحال حتى اضطررت إلى مزاولة الحياكة والتطريز وأشغال الإبرة ، وكان أبي قد ترك لي إيرادا صغيرا وهو الذي أعيش به حتى الآن .

وافتقد "**ميشيل**" أباه ، ونشأ غلاما ثائرا متمردا ، طموحا كغيره من الشباب، فما إن تخرج في الجامعة حتى رحل إلى "**نيويورك**" رغم إرادتي ، ولابد أنه نجح في عمله هناك؛ لأنه كان يرسل لي نقودا بانتظام ولكنني لم أره طيلة تسعة أعوام.

واغرورقت عيناها بالدموع ومضت تقول :

– وقد آلمني فراقه ، ولكن ألمي كان أشد حين عاد ؛ لأنه كان في مأزق . ولم أعرف تماما ما متاعبه . فقد جاء في منتصف الليل .

كان شديد الهزال والنحول ويبدو أكبر سنا من عمره الحقيقي ولم يكن يحمل من المتاع سوى حقيبة سوداء صغيرة . وعندما حاولت فتح الحقيبة ، رفع يده وهم بأن يضربني ... نعم ، هم بأن يضربني .. أنا أمه .

ووضعته في الفراش كما كنت أفعل وهو طفل ، ولكن لم يغمض له جفن ، وظل يبكي طوال الليل .

وفي الصباح ... طلب إلي أن أغادر البيت لبضع ساعات ، وقال إنه يريد أن يفعل شيئا ، ولم يوضح لي طبيعة ذلك الشيء ، ولكنني لاحظت عندما عدت في المساء أن الحقيبة قد اختفت .

◆◆◆◆◆

وهنا أفرغ السيد "**بيري**" في جوفه ما تبقى في القدح من عصير الليمون وسأل :

– وكيف تفسرين ذلك ..؟

– لم أعرف على الفور ، ولكنني عرفت كل شيء في المساء ، فقد جاء رجل

إلى البيت في المساء ، ولا أعلم كيف دخل ، ولكني علمت بوجوده حين سمعت صوته في غرفة "**ميشيل**" ، فألصقت أذني بباب الغرفة ، وحاولت أن أنصت إلى حديثهما؛ لأعرف نوع المتاعب التي تقلق "**ميشيل**" وتؤرقه ، ولكني لم أسمع سوى صيحات الغضب وعبارات التهديد ... وفجأة ...

وصمتت العجوز لحظة وغاص رأسها فوق صدرها كما لو كانت الذكريات تمضها وتثقل كاهلها ... ثم عادت إلى الحديث فقالت :

– وفجأة ، دوى طلق ناري ، فاقتحمت الغرفة ، ورأيت إحدى نوافذها مفتوحة، وقد اختفى الزائر المجهول ، أما "**ميشيل**" فكان ممددا على الأرض جثة هامدة .

وصمتت المرأة مرة أخرى ، ثم عادت إلى سرد قصتها ، قالت :

– كان ذلك منذ خمس سنوات ، خمس سنوات طوال ، وقد انقضى بعض الوقت قبل أن أعرف الحقائق كلها من رجال البوليس .

ويبدو مما قاله رجال البوليس ، ومما حدث في ذلك اليوم المشؤوم أن "**ميشيل**" والرجل الآخر اشتركا في السطو على أحد البنوك ، وسرقا بضعة آلاف من الدولارات ، وأن "**ميشيل**" أراد الاحتفاظ بالمبلغ كله لنفسه ، فجاء به في الحقيبة ، وطلب إليَّ مغادرة البيت ليتسنى له إخفاؤه في مكان ما ، وعندما جاء شريكه في مساء اليوم التالي للمطالبة بنصيبه ، ولم يجد المال أطلق رصاصة على "**ميشيل**" صرعته على الفور .

وحملقت المرأة إلى وجه السيد "**بيري**" واستطردت قائلة :

– وهذا هو السبب في أنني حددت ثمن هذا البيت بخمسة بعين ألف دولار، كنت أعلم أن قاتل ولدي سيعود يوما ما وسيحاول شراء هذا البنيت بأي ثمن ، للبحث فيه عن الحقيبة ... وأصبحت كل مهمتي أن أنتظر بفروغ صبر حتى يأتي الرجل الذي يبدي استعداده لشراء هذا البيت المتداعي بالثمن الباهظ الذي حددته .

قالت ذلك ونظرت إلى الرجل وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة ماكرة .

وكان الرجل يترنح في مقعده وقد زاغ بصره ، وعندما حاول إعادة القدح إلى مكانه في الصحفة ، لم يستطع ذلك وسقط القدح من يده ، وسمعته المرأة يغمغم بصوت متقطع :

– يا إلهي .. !! ما أشد مرارة هذا العصير .. !!

وكانت تلك آخر عبارة نطق بها قبل أن يقتله الشراب المسموم .

المد والجزر

هدأت الأمواج بالتدريج ، وسكنت حركة الماء لفترة قصيرة ، سيعقبها حتما ارتفاع المد ، وزحف الماء مرة أخرى من الخليج إلى النهر ، ومن النهر إلى المنخفض أمام بيت "**راي جارفن**" الذي أوشك أن يتم بناؤه .

وهبت ريح خفيفة تماوجت معها أعواد العشب في المراعي المترامية التي تشغل نحو نصف ميل مربع شرقي النهر .

◆◆◆◆◆

وأسند "**لويد ريد**" مرفقيه إلى الحاجز الخشبي عند نهاية الجسر الخشبي القائم فوق المنخفض بين ضفة النهر وباب البيت الجديد وأطل على الرجل الذي في القارب وسأله :

– كيف وجدت الأعمدة الخشبية يا "**راي**" ..؟

فرسا "**راي جارفن**" بالقارب الكبير على الشاطئ .. وقفز منه إلى الأرض الموحلة ، وألقى إلى "**ريد**" بطرف الحبل المشدود إلى القارب لكي يربطه بحاجز الجسر ،حتى لا يفلت القارب إلى عرض النهر ، وقال :

– أظن أنه لابد من دعم القوائم الخشبية حتى لا ينهار الجسر .

قال ذلك وأخرج من جيبه مطواة فتح نصلها وغرسه في أحد الأعمدة الخشبية ليختبر صلابته وسأل :

– كم تظن عمر هذا الجسر يا "**لويد**" .. ؟ عشرة أعوام .. ؟ عشرون عاما ..؟

فأجاب "**ريد**" :

– لا أعلم إذا كان هذا هو نفس الجسر ، ولكن أذكر أنني كنت أحضر مع أبي إلى هذا المكان .. كان ذلك منذ نحو خمسة وعشرين عاما .

فطوى "**جارفن**" النصل وأعاد المطواة إلى جيبه وقال :

– ليت هذا الجسر قد احترق أيضا مع البيت القديم ..

ومشى تحت الجسر ، وأمسك بإحدى القواعد الخشبية وقال :

– أظن أنه يحسن بي أن أهدم هذا الجسر وأقيم آخر جديدا ..

وهز القائم الخشبي بكل قوته ، فصاح "**ريد**" :

– مهلا .. مهلا .. لا تهزه وإلا سقط .

ورأى "**جارفن**" فوق رأسه ثلاث كتل حديدية تشد أزر الجسر ، وقرر أن يأمر رجاله في اليوم التالي بنقل هذه الكتل ووضعها على ضفة النهر لإعادة استخدامها عندما يقيم الجسر الجديد .

قال "**ريد**" :

– لا تهز القوائم الخشبية مرة أخرى يا "**راي**" .. فإنه يخيل إليّ أنها ليست مثبتة كما يجب .. وربما .

ولم يتم عبارته ، فقد دوى فجأة صوت كطلقة مدفع ، ورأى "**جارفن**" شظايا وأتربة الخشب العفن تتساقط حوله ، وكان رد الفعل الغريزي ، حتى قبل أن يسمع صيحة "**ريد**" وتحذيره ، هو محاولة الخروج من تحت الجسر ، فالقى بنفسه جانبا ، ولكنه انزلق في الوحل وسقط على وجهه .. وسمع فوقه صوت ارتطام كتل الحديد بعضها ببعض ..

وأدرك على الفور أن الجسر ينهار ... وأنه يجب أن يخرج من تحته ... فراح يحرك يديه وقدميه على الأرض الموحلة المنزلقة ... ولكنه كان كمن يجري في الحلم ، فلم يتقدم خطوة واحدة ...

وفجأة ، اصطدم شيء بقدمه اليمنى ... أرسل وخزة ألم في ساقه ... وشلت

قدمه فلم يستطع تحريكها ... ووجد نفسه يصرخ من فرط الألم .

وساد الصمت لحظة ...

كان "**جارفن**" ممددا على الأرض ، ووجهه في الوحل ، وعيناه مغمضتان ، وهو يحاول جاهدا أن يتغلب على الألم الذي يشعر به في قدمه . لابد أن إحدى الكتل الحديدية قد سقطت على قدمه فسحقتها .

سمع صوتا يصيح :

– "**راي .. راي**" ...

فرفع رأسه ، ورأى "**ريد**" قادما نحوه وهو يصيح :

– هل أنت بخير يا "**راي**" ..؟

فقال وهو يحاول أن يبتسم :

– لم أكن أعلم أن لي قوة "**شمشون**" ... وأنني أستطيع أن أهدم الجسر بيدي .

فانحنى "**ريد**" فوقه ونظر إلى ساقه وقال :

– هل تستطيع أن تجذب ساقك ..؟

– لا أعلم .

ووضع كفيه على الأرض ، ورفع رأسه لكي يتمكن من رؤية قدمه .

كانت إحدى الكتل الحديدية قد سقطت فوق القدم وغرستها في الوحل .

قال :

– سأحاول .

وجذب ساقه ، ولكن الألم كان لا يحتمل ، فكف عن المحاولة وهو يئن .

قال :

– لقد تهشمت القدم ... أنا واثق بذلك .

فقال "**ريد**" :

– إنك حسن الحظ .. فقد سقطت الكتلتان الأخريان بعيدا عنك .

– أنا حسن الحظ بالتأكيد .. والآن .. ارفع هذه الكتلة عن قدمي .

فنظر إليه "**ريد**" في دهشة وقال :

– أرفعها .. ؟ إن عرضها 25 سنتيمترا ولابد.أنها تزن أكثر من أربعمائة رطل... إنك حسن الحظ لأنها لم تفصل القدم عن الساق

– ألا تكف عن الحديث عن حسن حظي وتحاول أن تفعل شيئا ..؟

فهز "**ريد**" كتفيه وحك رأسه ، وجثا بجانب "**جارفن**" ونظر إلى قدمه ، ورأى طرف الكتلة يجثم فوقها ، فحك رأسه مرة أخرى وقال :

– يا إلهي .. !! لا تظن أنني أستطيع عمل شيء يا "**راي**" .. أنت تعلم كم أعاني آلام الظهر .. وكان "**جارفن**" يعلم أن "**لويد ريد**" يعاني آلام الظهر حقا... الجميع كانوا يعلمون ... كانت آلام الظهر هي سبب شهرته ... فقد ألقى بنفسه بالمظلة من طائرته المحترقة في أثناء الحرب فسقط في "**المانش**"... كذلك كانت آلام الظهر هي مصدر رزقه الوحيد .. فقد قرروا له معاشا شهريا أسوة بغيره من المحاربين الذين أصيبوا في المعارك إصابة أعجزتهم عن العمل.

◆◆◆◆◆

أغمض "**جارفن**" عينيه لحظة وقال :

– معذرة يا "**لويد**" ... فما قصدت أن أصرخ في وجهك ... ولكن ربما استطعت أن تحفر تحت قدمي بحيث أتمكن من جذبها .

– بالتأكيد ... بالتأكيد ... هذه فكرة طيبة .

وراح يحفر حول القدم بيديه ... ومست يده قدم "**جارفن**" فصرخ هذا ألما فقال معتذرا :

– أنا آسف يا "**راي**" .

ونظر "**جارفن**" إلى يمينه فرأى القارب الذي تركه على الشاطئ منذ دقائق يطفو فوق الماء ...

فقال :

– لقد بدأ المد ... يجب أن أخرج من هنا .

فقال "**ريد**" :

– ماذا سنفعل يا "**راي**" ..؟

– لابد من رفع كتلة الحديد .

ونظر حوله وهو يعصر ذهنه للبحث عن وسيلة ، ووقع بصره على سيارة "**ريد**" بالقرب من الشاطئ .. إن السيارة تمثل قوة يمكن استخدامها للخروج من هذا المأزق .

قال .

– أصغ إلي يا "**ريد**" .. اربط طرف حبل بسيارتك ، والطرف الآخر بكتلة الحديد ... إن كل ما نريده ، هو زحزحة الكتلة بضعة سنتيمترات .

– وأين الحبل .. ؟

– الحبل .. ؟

ونظر "**جارفن**" حوله بسرعة ، ومد يده اليمنى إلى القارب وتناول منه حبلا .

قال :

– إليك الحبل ... إنه جديد وقوي .

– ولكن طوله لايزيد على عشرة أمتار ... نحن في حاجة إلى ثلاثين مترا على الأقل لكي نصل إلى السيارة .

فنظر "**جارفن**" إلى الحبل الذي في يده .. كان "**ريد**" على حق ...

سأله :

– والسيارة .. ؟ ألا يوجد بها حبال ..؟

فهز "**ريد**" رأسه سلبا ..

وتذكر "**جارفن**" أنه اشترى حزمة من الحبال وضعها في حقيبة سيارته .. ولكنه ترك السيارة في المدينة واستقل سيارة "**ريد**" .



وأحس بالماء يصل إلى ركبته ..

سأل صديقه :

– كم يبلغ ارتفاع الماء عندما يصل المد إلى ذروته في هذه المنطقة يا "**ريد**" ..؟

– ثلاثة أمتار .

ففكر "**جارفن**" ... ثلاثة أمتار .. في خلال ست ساعات .. أي حوالي نصف متر في الساعة .. ولكن كم يبلغ طول المسافة بين ركبة الرجل وأنفه ..؟ حوالي 120 سنتيمترا ... معنى هذا أن أمامه نحو ساعتين ونصف ... فإذا لم يخلص قدمه من تحت كتلة الحديد خلال هذه الفترة ...

قال :

– "**ريد**" .

– نعم ... هل فكرت في شيء ..؟

فحول "**جارفن**" رأسه وقال وهو ينظر في عيني "**ريد**" :

– يجب أن تذهب في طلب النجدة .. يكفي رجلان قويان لرفع هذه الكتلة بحيث يتسنى لي أن أجذب قدمي .

فقال "**ريد**" وهو ينهض :

– أظنك عليحق يا "**راي**" ... إن المسافة إلى المدينة لا تتجاوز خمسة أو ستة أميال ... وربما أعثر على "**فورمان**" ... إنه قوي مفتول العضلات .. وكذلك "**كولياس**" ..

فقال "**جارفن**" ببطء وهو يمسح جبينه بيده :

– "**ريد**" .. إنني في جحيم من الألم ... وقد أخذ المد في الارتفاع .. فهلا تفضلت بالذهاب .. ؟ اذهب أرجوك .

– بالتأكيد ... بالتأكيد ..

وابتعد ، وراح يصعد من المنخفض ، ثم نظر من فوق كتفه وقال :

– كدت أطلب إليك أن تنتظرني حتى أعود ... ولكني وجدت أنها نكتة سخيفة .

ثم دق جيب قميصه وقال :

– بهذه المناسبة .. هل معك سجائر ؟ هل تريد أن أترك لك سجائري..؟

فبحث "**جارفن**" في جيبه ، ووجد علبة سجائره ، ولكن الماء والوحل كانا قد أتلفاها .

قال :

– أعطني سيجارة قبل أن تذهب .

فعاد "**ريد**" أدراجه ، وقدم لصديقه سجائره وثقابه وهو يقول :

– سأعود بسرعة يا "**راي**" ... فتشجع ...

وما إن ابتعد "**ريد**" حتى ناداه "**جارفن**" وقال :

– أسرع يا "**ريد**" ، لا أحد سواك يعلم أنني في مأزق هنا ... و ...

وصمت ، وندم فجأة على ما قال .

فنظر إليه "**ريد**" لحظة وقال :

– تجلد .

ومضى في طريقه ، وبعد قليل ، سمع "**جارفن**" صوت محرك السيارة .

وابتعد الصوت ، وسرعان ما تلاشى .

◆◆◆◆◆

وساد السكون فترة طويلة ، ثم فجأة ، نشطت حواس "**جارفن**" ، فسمع حفيف أوراق الشجر ، وهمسات النسيم بين أعواد العشب ، وتسلل إلى نفسه إحساس بالوحدة والعجز أثقل قلبه .

وفكر في "**لويد ريد**" . لو أن له حرية اختيار الرجل الذي يأتمنه على حياته لكان "**ريد**" آخر من يقع عليه اختياره . ولكن لماذا ..؟

إن الصداقة بينهما قد بدأت منذ عهد الطفولة .... والصداقة معناها الثقة...فلم هذا الشك الذي يساوره في صديقه ..؟

ونظر إلى الماء ، ووجد أنه قد غطى ساقه المصابة ووصل إلى ركبتيه ..

رفع يده ، ونظر إلى ساعته ... ورأى عقربيها عند الساعة الحادية عشرة

والربع.

الآن لابد أن تكون "**ماري**" في الكنيسة مع أختها "**إليانور**" . لقد ذهب "**ريد**" منذ ربع الساعة ، ومعنى ذلك أنه لابد أن تمر عشرون دقيقة أخرى على الأقل قبل أن يعود .

ولم يصرفه ازدياد آلام قدمه مع كل نبضة من نبضات قلبه عن التفكير في . . . في ماذا . . ؟

إنها مسألة وقت فحسب . . بعد بضع دقائق يعود "**ريد**" ومعه النجدة . . سوف يحملونه إلى المستشفى ، حيث تشد قدمه إلى جبيرة . . . وقد يضطر بعد ذلك إلى السير بعكاز فترة من الوقت .

نظر إلى ساعته مرة أخرى . . الساعة الآن الحادية عشرة والنصف . . .

ولاحظ عندما أرخى ساعده ، أن الماء قد وصل إلى أصابع يده . .

رفع رأسه ، وأرهف أذنيه ، ولكنه لم يسمع غير صوت الماء والريح .

جمع الجاكيت حول جسده ، ليتقي البرد الذي بدأ يسري في أوصاله .

لقد مرت ثلاثون دقيقة على رحيل "**ريد**" . .

ولكن ذلك كان العهد به دائما . . كان دائما لا يحفل بالوقت ولا يمكن الركون إليه والاعتماد عليه . إنه لم يتزوج قط ، ولم يمكث في وظيفة ما أكثر من ستة أشهر .

كان بوهيميا في حياته ، مهملا في عمله . . عاطلا من الطموح ، ولا ينظر إلى أبعد من اللحظة التي يعيش فيها .

◆◆◆◆◆

وقطب "**جارفن**" حاجبيه . . واستغرق في التفكير . . .

ترى هل كان ظاهر "**ريد**" كباطنه . . ؟ أم أنه اصطنع هذا المظهر مع مرور السنين . . . ؟

وتذكر حادثا وقع منذ أسابيع قليلة . كان "**جارفن**" يومئذ في مكتبه ،

ودخلت عليه زوجته "**ماري**" ... وكانا قد ابتاعا لتوهما ذلك المكان وشرعا في إقامة بيتهما الجديد .

وتذكر "**جارفن**" كيف جلس "**ريد**" ساكنا في أحد المقاعد . وراح يصغي إلى "**ماري**" وهي تتحدث في حماس عن البيت الجديد وموقعه الرائع والأثاث الذي ستعده له .. ثم شيعها ببصره وهي تنصرف ، وتحول إلى "**جارفن**" وقال وفي عينيه نظرة غريبة :

– أنت سعيد الحظ يا "**راي**" .. أكبر الظن أنك لا تدرك كم أنت سعيد الحظ... زوجة رائعة ، وعمل ناجح وبيت جديد .. ورصيد ضخم في البنك .

وتناول قلما وراح يدق به على حافة المكتب واستطرد قائلا :

– لقد غفل الزمن عنك .

ثم رفع رأسه وقال بصوت مفعم بالمرارة :

– إنني أغبطك يا رجل .

ولكنها كانت حالة طارئة ... عاد بعدها إلى طبيعته .

وفكر "**جارفن**" ...

« ترى هل كانت حالة طارئة حقا .. ؟ ألم تكن "**ماري**" وراء ذلك كله ؟ لقد كان "**ريد**" وثيق الصلة بها خلال العامين الأخيرين من أعوام الدراسة ... فهل عني بما قال مجرد التعبير عن أسفه على فقدان ما كان يمكن أن يكون من نصيبه.. ».

◆◆◆◆◆

ومرة أخري نظر "**جارفن**" إلى ساعته ...

لقد رحل "**ريد**" منذ خمس وأربعين دقيقة ، ارتفع الماء خلالها بسرعة رهيبة حتى وصل إلى فخذيه ...

ترى ماذا حدث لـ"**ريد**" ..؟ هل انفجر إطار سيارته..؟

هل فرغ وقود السيارة..؟

ولم يجد "**جارفن**" بوسعه أن يفعل شيئا سوى أن ينتظر ، فراح يشغل نفسه بالتفكير في الجسر الجديد وكيف ينبغي إنشاؤه ...

ولكن ما إن انتصف النهار وزاد ارتفاع الماء .. حتى طفت الشكوك التي راودته سرا وظهرت على السطح ..

قال لنفسه :

«إن "**ريد**" لن يعود ... إنه سيتركني هنا حتى أموت .....».

كانت الفكرة منطقية تماما ...إنها فرصة فريدة لم يتوقعها "**ريد**" ولم يخطط لها ... وفي استطاعته بقليل من الحظ والدهاء أن يحل محل "**جارفن**" ويلتقط المشعل من يده ... ويعيش الحياة التي بدأها هذا الأخير ... لقد كانت "**ماري**" تميل إلى "**ريد**" .... وكانت الصلة بينهما أيام الدراسة وثيقة .... فماذا يمنع هذه الصلة من أن تعود وتزداد وثوقا بعد موت "**جارفن**" ..؟

إن "**ماري**" ليست المرأة التي تطيق الوحدة ... فإذا ألح عليها "**ريد**" .

وفجأة ، ضرب "**جارفن**" الماء بقبضة يده .... واستولى عليه شعور بالعجز واليأس .

ألا توجد وسيلة لتحذير "**ماري**" ... وتنبيهها إلى أن ما أصابه لم يكن مجرد حادث ..؟ ومع ذلك ... فإنه ربما قد أساء الظن بصديقه دون مبرر ..؟ ربما قد حدث لـ"**ريد**" نفسه حادث ...

وبلغت الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق ... ووصل الماء إلى وسطه ...

وأخذ "**جارفن**" يستعرض مراحل حياته ... لقد عمل بجد وإخلاص ... ولم يكن بخيلا ولا مسرفا ، وأصبح قاب قوسين أو أدنى من تحقيق كل أهدافه تقريبا، وكان إنشاء هذا البيت أحد هذه الأهداف ... فكيف يجد نفسه بعد هذا كله كالحيوان في المصيدة ... وكل دقيقة تمر تدنيه من النهاية ..؟

وتوقف عند هذا الخاطر ....كالحيوان ... ونظر إلى الماء الذي يتدفق حوله، ومد يده ولمس كتلة الحديد التي ترزح فوق قدمه ...

ثم اعتدل في جلسته وأخرج المطواة من جيبه وفتح نصلها .. إن بعض الحيوانات تنهش ساقها لكي تنجو من فخ سقطت فيه ... فهل يستطيع الإنسان أن يفعل ذلك ..؟ هل يستطيع أن يقطع قدمه ..؟

◆◆◆◆◆

واشمأز من الفكرة ، وأعاد المطواة إلى جيبه ... لايزال هناك بعض الوقت... لايزال أمامه عشرون دقيقة على الأقل ...

ولكن إذا كان قد مضى على رحيل "**ريد**" ساعة ونصف الساعة ، فمعنى ذلك أنه لن يعود ..

«آه ... لو أستطيع فقط أن أراه مرة أخرى وأنظر إلى عينيه ..؟ إن نظرة واحدة تكفي لمعرفة دخيلة نفسه ....»

ووصل الماء إلى صدره ... بعد أقل من ساعة ... سيصل الماء إلى أنفه ...

ومد يده إلى المطواة مرة أخرى ...

هذه هي الوسيلة الوحيدة ... ولابديل لها سوى الموت ... وأرسل بصره إلى البيت ... وإلى المراعي الخضراء ... ما أجمل أمسيات الصيف في هذا البيت..!! وماأروع المناظر الطبيعية في الربيع ..! إن رجلا بساق واحدة يستطيع أن يرى ويسمع ويستمتع ..أما الرجل الميت فإنه لايرى ولايسمع شيئا...

وفتح نصل المطواة ، ومر عليه بأصبعه ..إنه حاد ...آه ... ليته يستطيع قطع القدم في المكان الذي تهشم تحت كتلة الحديد

سينزف دمه بالتأكيد ... وربما ينزف الكثير من الدم ... وتذكر الحوت الذي اصطاده منذ ثمانية أشهر ..إن رائحة الدم تجتذب الحيتان ...

ولكن ربما لاتوجد حيتان في هذه المنطقة ... وإذا وجدت ، فربما لاتكون من النوع المفترس ..



ولمس قدمه بيده ... وشعر من ذلك بألم هائل» ... ولكن لابد مما ليس منه بد...هلم ... وكفى ترددا ... لاأحد سيأتي لإنقاذك .... والمد لن ينتظر»

ونظر حوله ... إلى حطام الجسر ... ثم إلى المطواة ..
ومن عجب أن ابتسامة غريبة ارتسمت على شفتيه في تلك اللحظة ...
المد ... المد ...
يا إلهي ..!! كيف غابت عنه هذه الفكرة ...
واتسعت الابتسامة على شفتيه ، حتى شملت وجهه كله ... ثم انفجر ضاحكا.



تدفق الماء من النهر وملأ المنخفض ... وسمع من بعيد صوت سيارة تنهب الأرض بأقصى سرعتها .. ثم ظهرت السيارة بين الأشجار ... واقتربت ....
كان يقودها "**فورمان**" وقد جلس بجواره "**لويد ريد**" ورأسه معصوب بضمادة بيضاء ... بينما جلس الدكتور "**ساندرز**" و"**جولياس ميسون**" في المقعد الخلفي.

◆◆◆◆◆

ووقفت السيارة في أقرب مكان إلى الجسر ، وفتحت أبوابها ، ووثب منها الرجال الأربعة .. وكان "**ريد**" أول من وصل إلى الجسر ... فوقف عند حافة المنخفض ونظر حوله ... لم ير سوى حطام الجسر ... والماء ..
قال :
– لقد جئنا بعد فوات الوقت .. كنت أعلم ذلك . فقال "**فورمان**" :
– أين تركته ..؟
– هناك ... عند الكتل الحديدية ... كان "**راي**" تحتها ...
وعندئذ سمع الرجال صوتا يهتف :

– هالو . .

فبحثوا عن مصدر الصوت ، ورأوا "**جارفن**" ممددا على حافة المنخفض ، وظهره مسند إلى هيكل القارب . . . . والمطواة في يده ، والجاكيت الملوث بالوحل يغطي قدميه .

قال "**جارفن**" :

– لماذا تأخرت يا "**ريد**" . .؟

فهتف "**ريد**" بصوت أجش :

– أنت . . أنت . . ؟ . . . على قيد الحياة . .؟

وحملق نحو "**جارفن**" . . . واستقرت عيناه على الجاكيت التي تغطى قدميه . .وتمتم قائلا :

– ولكن كيف . . . كيف . .؟!

فقال "**جارفن**" :

– إنني سألتك يا "**ريد**" . . لماذا تأخرت . .؟

فاقترب الدكتور "**ساندرز**" من حافة المنخفض وقال يحدث "**جارفن**" :

– إنه قال لنا إن كتلة من الحديد سقطت على قدمك ومنعتك من الحركة . . . فهل جاء من ساعدك يا "**راي**" . .؟

– لم يساعدني أحد . . . ولكنني أريد أن أعرف ماذا حدث لـ"**ريد**" . .

فقال "**ريد**" :

– إنني كنت مسرعا بالسيارة فخرجت عن الطريق واصطدمت بشجرة وأغمي علي . . . ولا أعلم كم بقيت فاقد الرشد

قال ذلك وأشار إلى رأسه المعصوب . فقال "**جارفن**" :

– إنني أعرف تماما كم بقيت فاقد الرشد ، ولو كنت في مثل مركزي لحسبت الوقت بالدقائق والثواني . . . ولأدهشك كيف يرتفع المد بسرعة حين لا تريده أن يرتفع . . . ولوجدت نفسك تفكر كيف سيكون شعورك حين يصل الماء إلى أنفك .

فهبط الطبيب إلى حيث كان "**جارفن**" وركع بجانبه وقال :

– دعني أرى قدمك .

فقال "**جارفن**" :

– صبرا لحظة يا دكتور ..

– ولكن ، إذا كانت قدمك قد تهشمت ...

فقال "**جارفن**" وعيناه على "**ريد**" :

– صبرا لحظة ... إن الإنسان في مثل مركزي يا "**ريد**" يفكر في أشياء كثيرة، وقد فكرت طويلا وهداني تفكيري إلى هذه .

ولوح بالمطواة في يده واستطرد قائلا :

– وتذكرت ما يروى عن الحيوانات التي تنهش سيقانها لكي تفلت من الفخ..

فسقط فك "**ريد**" .. وأشار بإصبعه إلى قدمي "**جارفن**" اللتين يغطيهما الجاكيت وقال في ذعر :

– هل تعني .. هل تعني أنك قطعت قدمك ..؟

– إنني فكرت في ذلك وقتا طويلا ... وانتظرت النجدة ... وابتهلت إلى الله..بينما كان الماء يرتفع ... حتى وصل إلى صدري ، ثم إلى عنقي ..

فقال الطبيب وهو يمد يده ليرفع الغطاء عن القدمين :

– يحسن بك أن تدعني أرى قدمك يا "**راي**" ..

ولكن "**جارفن**" أبعد يده ومضى في حديثه .. قال :

– توقعت أن تكون عظام القدم قد تهشمت ، وأن عملية البتر في هذه الحالة لن تكون عسيرة ... ولكن ما أقلقني ... هو الألم الذي لابد أن أشعر به .... والغيبوبة التي قد تصيبني وأنا أقوم بعملية البتر .

فغمغم "**ريد**" قائلا :

– يا إلهي ...

وابتسم "**جارفن**" وطوى نصل المطواة ، ووضعها في جيب سرواله وقال :

– وفجأة ، خطرت لي فكرة أخرى ... فكرة من السهولة بحيث لم أتمالك نفسي من الضحك .

فقال الطبيب :

– ماذا كانت هذه الفكرة بحق السماء ..؟

– فكرت في القارب الذي كان مربوطا بجواري .

– إنني لا أراه .

– لقد جرفه التيار منذ دقائق ..

– ولكن كيف ؟

– كان القارب مشدودا إلى الجسر بحبل ، فمددت يدي بالمطواة إلى أقصى ما أستطيع وقطعت الحبل .

فابتسم الطبيب وقال :

– وربطت طرف الحبل بكتلة الحديد ، فلما ارتفع المد ، ارتفع القارب ورفع الكتلة معه .

– تماما ...

فأسرع الطبيب إلى الجاكيت فرفعه، ورأى القدمين تحته .

صاح :

– جئني بحقيبتي من السيارة يا "**فورمان**" ... وليذهب أحدكم إلى أقرب تليفون ليطلب عربة إسعاف .

والتفت إلى "**جارفن**" وقال :

– أظن أنه يحسن أن ننقلك من هنا على محفة ...

وأحضر "**فورمان**" الحقيبة ، بينما ظل "**جارفن**" ينظر إلى "**ريد**" ... كانت الجريمة واضحة في عيني هذا الأخير ...

◆◆◆◆◆

وتناول الطبيب من حقيبته حقنة ... وجفف مكانا في ساعد "**جارفن**" وغرس الإبرة وهو يقول :

– سأخفف آلامك الآن ...

فهز "**جارفن**" رأسه ... وظل ينظر إلى وجه "**ريد**" المتقع ... قال لنفسه :
« يكاد المريب يقول خذوني ... ولكن ما الفائدة من اتهامه ... أليس الأفضل أن أتركه لضميره ..؟ سوف تلازمه عقدة الذنب إلى أن يموت » . . .
ثم قال بصوت مرتفع :
– هل أجد معك لفافة تبغ يا "**ريد**" .. ؟ لقد سقطت علبتي في الماء وحملها التيار .

المدير

على الرغم من أن لقب "**أرنولد ستروبخ**" ، زوج أختي ، هو مساعد رئيس مجلس إدارة بنك "**فوستر**" إلا أنه يشغل أكبر منصب في الفرع المحلي للبنك .
وقد كانت صلتي به قبل أن تموت أختي ... كأفضل ما تكون الصلات بين الأصهار ... ذلك أنه كان يحب أختي ويحترمها ويتجنب إغضابها .. فهيأ لي وظيفة في البنك ، وأقرضني ما أحتاج إليه من مال ، بل وقام مرة بسداد بضع مئات من الدولارات ظهرت عجزا في عهدتي .
وقد اقترنت عملية السداد بمحاضرة قاسية ، ولكنه لم يطردني ، ودفع المبلغ من ماله الخاص ، وقبل وعدي بألا أمس أموال البنك مرة أخرى . ونسي الموضوع تماما ، إلى أن وقعت في المحظور مرة ثانية .
وفي هذه الأثناء كانت أختي قد توفيت ... وعلى الرغم من أن العجز في هذه المرة لم يتجاوز خمسة وسبعين دولارا ... إلا أنه كان في نظره بمثابة مليون ، ففصلني على الفور ، وأمهلني أربعا وعشرين ساعة لأرد المبلغ ، وإلا اتهمني بالاختلاس ، فاضطررت إلى أن أقترض المبلغ بالزبا الفاحش .
ويبدو أنه أحسن إلي بفصلي لأنني وجدت وظيفة أفضل عن طريق "**هاري كونتز**" ، صاحب مكتب المراهنات الذي كان سببا في إقدامي على الاختلاس مرتين.

أرسلني "**كونتز**" إلى "**جو وارتز**" .. وهو صاحب شركة للنقل تخصصت في اختطاف سيارات النقل ، وسرقة ما فيها من بضائع ... وكان "**وارتز**" بحاجة إلى سائق سيارة ، فقبلت العمل عنده بمائتي دولار في الأسبوع ، واستمر عملي عامين ، إلى أن ضبط البوليس الفيدرالي سيارة لـ"**وارتز**" مشحونة بالبضائع المسروقة . ومن حسن الحظ أنني لم أكن بين الذين قبض عليهم من رجال "**وارتز**" ... فلم ينلني أكثر من أنني خسرت الوظيفة .

ولم أوفق إلى عمل آخر ... وكنت على وشك الإفلاس تماما حين التقيت مصادفة بـ"**أرنولد**" ..

كان ذلك أول لقاء بيننا منذ فصلني . كان اللقاء في مشرب يقع على بعد عشرة كيلو مترات خارج المدينة ... وهو ليس من المشارب التي تتوقع أن ترى فيها شخصا محترما كمدير أحد البنوك ، ولكنه مكان سيئ السمعة يسوده الظلام ، وكل زبائنه من الرجال الذين يختلفون إليه لمغازلة العاملات ، ولا مانع لدى إدارته من أن يصطحب الزبون إحدى العاملات ويخرج بها لقاء أجر معلوم .

وعلى الرغم من أن المشرب كان معتما في الداخل بحيث يتعذر عليك أن تتبين ملامح شخص يبعد عنك مترا ... إلا أنه كان من الخارج يسبح في فيض من الأنوار الساطعة ..



وكانت الساعة قد قاربت العاشرة مساء عندما وصلت إلى هذا المشرب .. ولم أكد أقترب منه ، حتى فتح بابه وخرجت منه سمراء فاتنة في نحو الثلاثين من عمرها ...

كانت ترتدي معطفا ثمينا فوق ثوب أخضر ملتصق بجسدها وقد لطخت خديها وشفتيها بالأصباغ الصارخة ، وكنت أعلم أنها من عاملات المشرب فلم أعرها اهتماما . ولكني ما لبثت أن رأيت رجلا أنيقا في نحو الخامسة والأربعين يخرج في أثرها ، وتملكتني الدهشة حين عرفته ..

هتفت قائلا :

– هالو .. "**أرنولد**" .

فتوقف هو والمرأة عن السير ، وخيل إلي أن وجهه قد احمر .. ولكن صوته كان طبيعيا ولا ينم عن الارتباك .

قال :

– كيف حالك يا "**ملفن**" .. ؟

فأجبت وأنا أحيي المرأة بابتسامة :

– إنني في خير حال ..

– هذه الآنسة "**تينا كروفورد**" .. "**تينا**" .. هذا "**ملفن هول**" .. صهري .

ووضح من ابتسامة المرأة ونظراتها أنها عرفتني .. فقد حاولت مرة أو مرتين أن تجاذبني أطراف الحديث في المشرب قالت :

– أظن أننا تقابلنا قبل الآن ..

– آه .. هذا صحيح ..

وانصرف الاثنان ، فشيعتهما ببصري حتى تواريا خلف المبنى ، حيث يوجد موقف للسيارات .

كان انصراف "**أرنولد**" إلى اللهو والعبث ولما ينقض عامان على وفاة زوجته أمرا يثير الدهشة والفضول ..

وفجأة ، خطر لي أن مجلس إدارة بنك "**فوستر**" لا يمكن أن ينظر بعين الرضا إلى قيام صلة بين مدير أحد فروعه ، وفتاة مستهترة من فتيات الحانات ، وفكرت في أن أية إشارة إلى هذا المعنى ، يمكن أن تقنع "**أرنولد**" بأن يقرضني مبلغا من المال .

◆◆◆◆◆

انتظرت حتى انطلق "**أرنولد**" و"**تينا**" بالسيارة ، ثم أسرعت إلى سيارتي ، وانطلقت في أثرهما .

وبعد أن اجتاز "**أرنولد**" نحو خمسة عشر كيلو مترا انحرف إلى طريق جانبي

ممهد ، ومر بمزرعتين .. وأوقف السيارة تحت الأشجار . أمام مبنى ضخم يتألف من طابقين ..

وزاد فضولي ، فقد كنت أعلم أن هذا المبنى هو مقر نادي الثلاثين .. وأن الطابق الأول منه يضم مطعما وملهى .. أما الطابق الثاني فيدار خلسة كناد للمقامرة ..

◆◆◆◆◆

أوقفت سيارتي بعيدا ، بين صفوف السيارات التي تحيط بالمبنى .. وانتظرت بضع دقائق ، ثم دخلت النادي ..

كان المكان غاصا بالناس فلم يعرني أحد التفاتا ، وطفت بالمطعم والمرقص والمشرب ، ولم أجد أثرا لـ"**أرنولد**" أو "**تينا**" .

لابد أنهما صعدا إلى الطابق الثاني .. ولا شك أن مجلس إدارة البنك لن يرضيه أن يختلف أحد مديريه إلى ناد للقمار ، كما لا يرضيه أن يكون لهذا المدير صلة بامرأة مستهترة تعمل في حانة .. وقررت أن أضاعف المبلغ الذي سأطلبه من "**أرنولد**" .

عدت إلى سيارتي .. وقبعت فيها ... وانتظرت ... وفي منتصف الساعة الواحدة صباحا ، خرج "**أرنولد**" و"**تينا**" واستقلا السيارة الزرقاء الفارهة وانطلقا بها في الطريق إلى المدينة ..

فتبعتهما من بعيد ، وحرصت على ألا أدعهما يشعران بي . وعرجت السيارة الزرقاء على بيت "**أرنولد**" ودخلت الحظيرة ...

وبعد قليل ، أغلق "**أرنولد**" باب الحظيرة ، ورافق "**تينا**" ودخل معها البيت من باب جانبي .

لم يكن "**أرنولد** " قد أنجب فهو الآن يقيم وحده بالبيت ، وليس ثمة ما يمنعه من أن يصطحب إحدى النساء .. ولكن المفروض في رجال البنوك أن يكونوا فوق الشبهات كرجال الكنيسة .. ولـ"**أرنولد**" جيران فكيف يتغاضون عن

سمعته على هذا النحو ..؟

وقررت أن يكون المبلغ الذي أطلبه كقرض بلا ضمان هو ألف دولار .

◆◆◆◆◆

وكان اليوم التالي يوم خميس ، فذهبت إلى البنك قبيل الساعة الثانية ، وعندما رآني "**أرنولد**" في مكتبه ، لم يرحب بي .. ولكن لم يبد عليه أنه شعر بالاستياء .

ترك رسالة كانت بيده وهتف قائلا :

– أهذا أنت يا "**ملفن**" ..!! تعال ..

ونهض إلى الباب فأغلقه ، ثم عاد إلى مقعده فقدمت إليه لفافة تبغ ، ولكنه هز رأسه فأشعلت لفافتي .. وأخذت أدخن في هدوء .

قال :

– ماذا عندك من الأنباء يا "**ملفن**" ..؟

– الواقع .. أنني فكرت في أننا يجب أن ننهي ما بيننا من قطيعة .. فنحن أقارب على كل حال .

– إنني لسيت حاقدا عليك يا "**ملفن**" .. ولكن إذا كنت تنشد وظيفة أو قرضا فاعلم أنني لن أستطيع استخدامك أو إقراضك .. ولكني على استعداد لأن أوصي بك من يمكنه استخدامك .. بشرط ألا تكون للوظيفة صلة بالمعاملات المالية .

فرمقته بنظرة عتاب فقال :

– لا أظنك تتوقع مني أن أرشحك لوظيفة في بنك آخر .. وإذا كنت بحاجة إلى توصية فاطلبها بسرعة .. لأن غدا سيكون آخر يوم لي هنا .

فسألته في دهشة :

– هل قررت أن تتقاعد ..؟

– أتقاعد ولما أبلغ الخامسة والأربعين .. ؟ لا أظن .

وقدم إليَّ الرسالة التي كانت في يده عندما دخلت فقرأت فيها ما يلي :

عزيزي السيد "**ستروبخ**" ..

تلبية لما جاء في خطابكم ، فإننا سننتظر قدومك بقطار الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الاثنين 14 أيلول (سبتمبر) ، ومن سوء الحظ أنني لن أكون في استقبالك لارتباطي بموعد آخر ، وقد كلفت الآنسة "**ستيلا مارشال**" رئيسة الحسابات ، باستقبالك ، كما أنني حجزت لك غرفة بفندق "**ليفريت**" ، وستذهب بك الآنسة "**مارشال**" إلى الفندق أو إلى البنك وفقا لرغبتك .. فإذا أردت مقابلتي يوم الاثنين فإنني سأمكث في البنك حتى الساعة الخامسة ، وإلا فليكن لقاؤنا في صباح الثلاثاء ..

وإني لأرجو لهذا اللقاء أن يكون فاتحة لصداقة طويلة وتعاون مثمر .

الإمضاء

"**ريموند بيرك**"

رئيس الخزانة



قلت وأنا أعيد إليه الخطاب :

– ما معنى هذا ..؟

فأجاب في أسى :

– إنني نقلت إلى فرع البنك في "**ليفريت**" .. لقد أصيب مدير الفرع بأزمة قلبية وتوفي منذ بضعة أيام ، فقرر رئيس مجلس الإدارة أن أحل محله .

– يخيل إليّ أنك لست سعيدا بهذا القرار ..

– إن القرار يتضمن ترقيتي إلى منصب نائب رئيس مجلس الإدارة .. ولكني سأكون غريبا في تلك المدينة .. لقد كنت سعيدا هنا ، وسأفتقد أصدقائي الكثيرين .

فقلت لنفسي :« .. لعل أول من سيفتقده .. هو "**تينا**" .. » .

قلت له :

– ولكن لابد أن يكون لك أصدقاء في البنك هناك .

فأجاب :

– كنت أعرف "**سام موريسون**" ، المدير السابق ، ولكنه توفي كما قلت لك .. وفرع "**ليفريت**" هو أحدث فروع البنك وقد بدأ عمله منذ شهر .. ولم يسبق لي أن رأيت أحدا من موظفيه .. كما أنني لا أعرف أحدا في المدينة .

وهنا خطر لي خاطر عجيب لم أدر من أين هبط علي فسألته :

– ألا تعرف أحدا على الإطلاق ..؟

– إنني لم أذهب قط إلى "**ليفريت**" فإنها تبعد عن هنا نحو ثلاثمائة كيلو متر، ولم تسنح لي فرصة للمرور بها بسيارتي .

وأنساني الخاطر الذي ومض في ذهني كل شيء عن القرض الذي جئت في طلبه .

سألته :

– ولماذا تذهب بالقطار بدلا من السيارة ..؟

– إن سيارتي تحتاج إلى إصلاح ، وقد قررت أن أبيعها لأشتري سيارة جديدة في "**ليفريت**" ، ومن حسن الحظ أنني وجدت من اشترى البيت والأثاث ، وستكون مهمتي يوم الاثنين أن أحمل حقائبي وأرحل .

– وما موعد قيام القطار يوم الاثنين ..؟

– الساعة الخامسة والنصف صباحا ، لماذا ..؟

– إنك ساعدتني .. وأسديت إليّ كثيرا من الخدمات سأمر بك وأحملك في سيارتي إلى المحطة .

– شكرا لك .. إنني اتفقت مع إحدى سيارات الأجرة .

ولم يكن المخطط الذي تفتق عنه ذهني يتطلب حتما أن أوصله إلى المحطة ، فلم أصر ، وأطفأت سيجارتي ونهضت ومددت له يدي قائلا :

– أتمنى لك التوفيق يا "**أرنولد**" ، ولقد كان من حسن حظي أن أراك قبل

رحيلك .

فنهض بدوره وشد على يدي بحرارة وقال :

– شكرا لك يا "**ملفن**" ، أنا أيضا أرجو لك التوفيق ، وما زلت على استعداد لأن أكتب لك التوصية .

– لست بحاجة إليها ، فإنني في خير حال ، إنما جئت فقط لأزيل ما كان بيننا من جفاء .

وغادرت البنك ، وقصدت بسيارتي إلى مكان يطل على النهر ، وجلست هناك أطل على الماء وأفكر . وما إن تبلورت خطتي حتى وجدت أن الفكرة العجيبة التي خطرت لي في مكتب "**أرنولد**" ، ليست مجرد خيالات وأوهام .. وإنما هي فكرة عملية قابلة للتنفيذ ..

لم يكن "**أرنولد**" يعرف أحدا في "**ليفريت**" ، ومعنى ذلك أن أحدا هناك لم يكن يعرفه .. وقد كان لي من الخبرة بالإجراءات المصرفية بعد عملي في البنك طوال ثلاث سنوات ، ما يساعدني على أن أشق طريقي لمدة يومين على الأقل.. ويومان يكفيان لتنفيذ خطتي ..

إن من حق مدير البنك أن يدخل القبو وأن يعرف سر فتح الخزانة ، بل ومن حقه أيضا أن يحتفظ بمفاتيح للمبنى نفسه .. فإذا وجدت الشجاعة الكافية لتنفيذ خطتي .. فإنني أستطيع الاستيلاء على مبلغ ضخم والفرار به إلى الخارج قبل أن تكتشف السرقة . والعقبة الوحيدة هي أن تنفيذ الخطة كان مستحيلا ما لم أرتكب جريمة قتل .

واستغرقت في التفكير حتى أرخى الليل سدوله ، دون أن أوفق إلى حل لهذه المشكلة ..

وأخيرا قررت .. إن الغنيمة الضخمة تستحق مجازفة جسيمة .. يضاف إلى ذلك أنه لم يكن بيني وبين "**أرنولد**" حب مفقود .

ولما كانت مشكلتي الأولى هي التخلص من "**أرنولد**" دون أن يشعر أحد باختفائه ، فقد ركزت تفكيري على هذه النقطة ، ووجدت أن كل شيء يتوقف

على البرنامج الذي وضعه "**أرنولد**" لقضاء عطلة نهاية الأسبوع .. فمثلا إذا كان موظفو البنك قد حددوا مساء السبت لإقامة حفل وداع لـ"**أرنولد**" .. فإن ذلك يكون كارثة لا سبيل إلى اتقائها .

كانت أفضل طريقة لمعرفة برنامجه ، هي سؤاله فاتصلت به تليفونيا في بيته في الساعة الثامنة والنصف وقلت له :

– إنني أود – على سبيل الاعتراف بفضلك علي – أن أقيم لك حفل وداع صغيرا، وأن أدعوك إلى العشاء قبل رحيلك .. فهل أنت مرتبط بحفلات أخرى في نهاية الأسبوع ..؟

– لا .. فقد أقام لي موظفو البنك حفل وداع يوم السبت الماضي ، وليس في نيتي البقاء في المدينة في نهاية الأسبوع ..

– أحقا .. ؟ كنت أظن أنكّ لن ترحل قبل صباح الاثنين .

– هذا صحيح .. ولكني قررت قضاء بعض الوقت في صيد السمك في بحيرة "**بيموس**" .. لقد بعت السيارة منذ ساعتين ، والرجل الذي اشتراها وافق على أن يتركها لي حتى نهاية الأسبوع ، ولذلك سأنطلق بها غدا إلى البحيرة ولن أعود قبل مساء الأحد .. ولن أستطيع قضاء السهرة معك؛ إذ يتعين علي النهوض مبكرا للحاق بقطار الساعة الخامسة والنصف .

فقلت وأنا أصطنع الأسف :

– يا لسوء حظي .. ! كنت أرجو أن أقضي معك سهرة أخيرة .. مع من ستذهب لصيد السمك ..؟

– سأذهب وحدي ..

كان كل شيء يبدو على ما يرام . قلت له :

– حسنا .. أرجو لك صيدا وفيرا ..

– شكرا لك .. وشكرا على الدعوة التي لا أستطيع تلبيتها .

وبعد أن وضعت السماعة ، جلست أفكر .. إلى أن وضعت اللمسات الأخيرة لخطتي ، ثم أويت إلى فراشي .

وفي صباح يوم الجمعة ، ذهبت إلى أحد المتاجر واشتريت ثقلين من الحديد وبعض الحبال ، ووضعت ذلك في حقيبة السيارة .

وكان ذلك اليوم ، هو آخر يوم يقضيه "**أرنولد**" في البنك ، فخشيت أن يترك عمله مبكرا في ذلك اليوم الأخير.. ويفسد كل مخططاتي بالذهاب إلى البحيرة قبل أن أقابله ، فقررت أن أراقبه .. وكنت في سيارتي على مقربة من البنك .

وفي الساعة الرابعة والنصف ، بدأ موظفو البنك في الانصراف وبعد دقائق خرج "**أرنولد** " و"**نورمان براي**" من مبنى البنك ، سارا معا إلى حيث كانت تقف سيارة " **نورمان**" .. وبعد أن تحادثا قليلا ، شد " **نورمان**" على يد "**أرنولد**" وركب سيارته ، وذهب "**أرنولد**" إلى سيارته واستقلها وانطلق بها ..

وتبعته حتى وصل إلى البيت ورأيته يودع سيارته الحظيرة .. فانتظرت بضع دقائق ثم قرعت جرس الباب .

وبعد قليل ، فتح "**أرنولد**" الباب ودهش حين رآني .قال :

- كنت في الطابق الثاني أعد حقيبتي .. ويؤسفني أنني تركتك تنتظر .. تعال .

فدخلت وأغلق الباب خلفي ، ولاحظت أنه لا يزال يرتدي الثياب التي خرج بها من البنك .

قلت له :

- امض في عملك ، فما جئت إلا لأودعك .

- إنني فرغت من إغلاق الحقيبة الأخيرة عندما دققت أنت الجرس ، ويؤسفني أنني لا أستطيع أن أقدم لك شرابا؛ لأنني تخلصت من كل شيء عدا الأثاث .

فقلت وأنا أسير ببطء نحو قاعة الاستقبال :

- لا بأس ..

وتبعني ولاحظت أنه ينظر إليّ بشيء من الارتياب . سألته :

- ألا يوجد أحد بالبيت .. ؟ ألا تنتظر قدوم أحد ؟ فرمقني في دهشة وأجاب :

– نعم. لا هذا ولا ذاك .. إنني كنت أعتزم الخروج بعد بضع دقائق .

فاقتربت وأنا أبتسم .. ولا شك أنه لم يكن يتوقع ضربة (الكاراتيه) التي سددتها إلى عنقه بكل ما أملك من قوة .. لأنه نظر إلي في دهشة .. وسقط على ركبتيه وانكفأ على وجهه ..

والمفترض أن مثل هذه الضربة تكفي لكسر العنق وقتل المصاب على الفور. .ولكن يبدو أن "**أرنولد**" كان قوي العنق؛ لأنه كان لا يزال يتنفس عندما قلبته على ظهره .

فسددت إلى أنفه ضربة كاراتيه أخرى ، وأحسست بعظام الأنف تتفتت تحت يدي .. وانثنت ركبتاه فوق صدره بحركة لا إرادية ، وخمدت أنفاسه.

ونهضت واقفا .. وانطلقت إلى الأبواب الأمامية والجانبية، لأتحقق من أنها مغلقة ، ثم عدت إلى الجثة وأخرجت حافظة النقود من جيبها ..

كان بها كثير من الأوراق التي تثبت شخصية صاحبها ، ولم تكن الأوصاف المسجلة في رخصة القيادة تنطبق عليّ ، ولكن رجال المرور قلما يحفلون بالتفصيلات .كذلك كان بالمحفظة نحو مائتي دولار ..

وضعت المحفظة في جيبي ، وفتشت جيوب "**أرنولد**" وعثرت على حلقتي مفاتيح .. إحداهما للسيارة والأخرى لأبواب البيت ، فوضعتهما في جيبي ..

وفي غرفة النوم بالطابق الثاني ، وجدت حقيبتين محزومتين وحافظة أوراق .. وتوقعت أن أجد بالحافظة شيئا يتصل بأعمال فرع البنك في "**ليفريت**" ، ولكنها كانت خالية تماما .

نقلت الحقيبتين وحافظة الأوراق إلى الطابق الأرضي ولما لم يكن هناك ما أفعله قبل هبوط الظلام ، فقد تسللت خارجا من أحد الأبواب الجانبية ، وأعدت غلق الباب بالمفتاح .

وعدت إلى البيت قبيل منتصف الليل ، وأوقفت سيارتي في الظلام أمام الباب الجانبي وأخرجت الحبال والثقلين الحديديين من حقيبتها .. ودخلت. .وأرهفت أذني في حذر .

كان الظلام حالكا ، فأضأت أحد المصابيح ، ووجدت جثة "**أرنولد**" حيث تركتها .

جردتها من ثيابها بسرعة ، ودسست الثياب في الحقيبتين . ثم شددت الثقلين الحديديين إلى إحدى ذراعي وساقي الجثة ، وتسللت إلى حيث أوقفت سيارتي وفتحت حقيبتها ، نظرت حولي .. كان هناك نور ينبعث من نوافذ منزل على بعد خمسين مترا ، ولكنه لا يصل إلى مكان السيارة ..

إنني أتمتع بقوة بدنية عظيمة ، ولكنني كنت ألهث وأتصبب عرقا بعد أن سحبت الجثة ووضعتها في حقيبة السيارة ..

ثم حملت الحقيبتين وحافظة الأوراق ووضعتها على المقعد الخلفي ، وأطفأت المصباح وأغلقت الباب الجانبي ، وانطلقت بالسيارة صوب النهر ..

كانت حركة المرور هادئة في ذلك الوقت من الليل ، فأوقفت السيارة فوق الجسر ، وبعد أن تحققت من خلو المنطقة تماما من المارة والسيارات ، فتحت حقيبة سيارتي وحملت الجثة ، وألقيت بها من فوق حاجز الجسر .

وكانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحا عندما عدت إلى بيتي وأويت إلى فراشي ..

وفي صباح اليوم التالي ، وهو السبت ، بعت سيارتي لأحد تجار السيارات القديمة .. وقضيت يومي السبت والأحد في التدريب على تقليد إمضاء "**أرنولد**" كما رأيته مسجلاً في رخصة القيادة .

لم تكن هناك ضرورة لذلك ، ولكنني لاحظت من الخطاب الذي قرأته في مكتب "**أرنولد**" ، أن هذا الأخير كان يتبادل الرسائل مع رئيس خزانة فرع البنك في "**ليفريت**" فخشيت أن يلاحظ رئيس الخزانة اختلافا في الإمضاء إذا أنا اضطررت إلى توقيع بعض الأوراق .

وكنت أقيم في شقة لا أملك فيها سوى ثيابي القليلة . فوضعت هذه الثياب في حقيبة وأخطرت صاحبة الشقة في مساء الأحد باعتزامي إخلاءها ، واتفقت مع سائق إحدى سيارات الأجرة على موافاتي في الساعة الخامسة صباحا لكي

ألحق بقطار الخامسة والنصف ..

استغرقت رحلة القطار ثماني ساعات قضيتها كلها في هم وقلق. .استعرضت خطتي .. وأخطارها المحتملة .. هب أنني قابلت في بنك " **ليفريت**" موظفا يعرفني أو كان يعرف "**أرنولد**" ..؟

هب أن أحد أعضاء مجلس الإدارة في المركز الرئيسي للبنك ، قرر زيارة فرع "**ليفريت**" ..؟

إن أي اتصال تليفوني بـ"**أرنولد**" من أحد معارفه .. يكفي لإماطة اللثام عن خدعتي .. لأن صوتي يختلف تماما عن صوت "**أرنولد**" ..

كنت على استعداد للنكوص على عقبي .. والتخلي عن المشروع كله .. لولا أنني اتخذت فعلا خطوة لا يمكن الرجوع فيها .. وهي ارتكاب جريمة القتل..

كنت مصمما على مغادرة البلاد .. ولكنني لم أكن أريد أن أعيش معدما .

وأخيرا قررت؛ تجنبا للافتضاح ، أن أقضي في البنك أقل وقت ممكن ، فأرجئ زيارتي الأولى إلى صباح الثلاثاء . حتى إذا استوليت على مفاتيح الخزانة ، اصطنعت المرض ولزمت غرفتي في الفندق ، إلى أن يحين وقت الهروب .

وجدت "**ستيلا مارشال**" ، رئيسة الحسابات ، في انتظاري على المحطة ..

كانت عانسا نشيطة تناهز الأربعين .. ولم تدهش حين وقع بصرها علي ، رغم أن "**أرنولد**" كان في الخامسة والأربعين عاما وأنا في الرابعة والثلاثين؛ إذ من المحقق أن موظفي البنك قد تحدثوا فيما بينهم عن مديرهم الجديد وتبادلوا معلوماتهم عنه .

قلت لها إنني مصاب ببرد ولست على استعداد للذهاب إلى البنك في ذلك اليوم ، فذهبت بي إلى الفندق وقالت لي في الطريق :

– إن السيد "**بيرك**" لا يعرف شيئا عن مشروعاتك بشأن المسكن ، ولذلك لم يبحث عن شقة أو بيت ، ويحسن بك أن توضح له رغباتك شخصيا .

– كم يبعد الفندق عن البنك ..؟

– مسيرة خمس دقائق .

– من الأفضل إذن أن أقيم بالفندق بصفة مؤقتة .. إنني غير متزوج كما تعلمين ..

– نعم ، قال السيد "**بيرك**" إنك أرمل .

ولما وصلنا إلى الفندق ، عرضت علي أن تعود إليّ في صباح اليوم التالي لترافقني إلى البنك .. ولكني شكرتها ، وقلت لها لا ضرورة لذلك طالما أن البنك على مقربة من الفندق ..

وفي اليوم التالي ، وصلت إلى البنك في الساعة التاسعة تماما ، فخف السيد "**بيرك**" لاستقبالي .

كان رجلا نحيلا أصلع الرأس يناهز الخامسة والثلاثين ، ويضع على عينيه نظارة سميكة .

تظاهرت بأنني مصاب بنوبة سعال ، وشكوت إليه البرد والإنفلونزا .. فأظهر عطفا شديدا .. وبعد أن دلني على مكتبي ، طاف بي أرجاء البنك ، وقدم إليّ الموظفين .. واستقبلني هؤلاء بأدب ولطف ، ولم يرتب بي أحد ، مما أشعرني بكثير من الطمأنينة وراحة البال ..

وفي نهاية المطاف ، رافقني السيد "**بيرك**" إلى القبو حيث توجد الخزانة ..

كانت تشبه خزانة البنك الذي عملت فيه تحت رئاسة "**أرنولد**" ولذلك لم أكن بحاجة إلى إيضاح .

قال السيد "**بيرك**" :

– لقد تعود المدير السابق على أن يضبط ساعة الخزانة على الخامسة ، وكان يشهدني على ذلك ، أنا أو الآنسة "**ستيلا مارشال**" .

وبعد وفاته ، كنت أنا أقوم بضبط الساعة وأشهد على ذلك الآنسة "**ستيلا**" .. فهل تريد أنت الاضطلاع بمسؤولية الخزانة ..؟

– نعم .. أين السجل ..؟

فأحضر لي السجل ، وهو دفتر يسجل فيه الشخص الذي يقوم بعد ظهر كل يوم بغلق الخزانة ، والساعة المحددة لإعادة فتحها ثم يوقع عليه بإمضائه، وكذلك

يفعل الشاهد .

ثم عدنا إلى مكتبي ، وهناك قدم لي "**بيرك**" أحد الملفات وقال :

– ستجد في هذا الملف موجزا لنشاط البنك ، وقائمة كاملة بالأرصدة والقروض ، والاستثمارات وغير ذلك ، وإذا أردت الاستفسار عن شيء فادعني .

– شكرا لك ، إن الاطلاع على كل هذه الأرقام والبيانات قد يتطلب اليوم كله، لذا أرجو ألا يزعجني أحد ، وحبذا لو قمت أنت بتصريف أعمال البنك كما تعودت أن تفعل قبل قدومي .

– بالتأكيد .. بالتأكيد .. وسأصدر تعليماتي بألا يزعجك أحد .

قال ذلك وانصرف ، فأغلقت الباب ، وشرعت في فحص الأوراق والأرقام .

رقم واحد كان يهمني .. هو رصيد الخزانة النقدي في اليوم السابق ..

كان الرصيد هو مبلغ 251372 دولارا .أي ربع مليون .. وعلى فرض أن خمسين ألف دولار من هذا المبلغ هي بالعملات الصغيرة التي يتعذر حملها لضخامة حجمها .. فإنه سيتبقى مائتا ألف دولار . ترى هل سيصل رصيد الخزانة مساء اليوم إلى مثل هذا الرقم .. ؟

وواصلت العمل طول النهار ، وراجعت الأرقام مراجعة فعلية حتى أكون على استعداد فيما إذا أراد "**بيرك**" أن يناقش معي أعمال البنك ..

وقبيل الساعة الخامسة ، غادرت مكتبي ، وسألت "**بيرك**" عما إذا كان الوقت قد حان لغلق الخزانة .. فأجاب :

– نعم .. وقد استبحت لنفسي أن أختار الأرقام السرية التي يفتح بها القفل .

قال ذلك وقدم لي قصاصة من الورق عليها الأرقام التي وقع عليها اختياره .

كانت هذه الأرقام تتغير كل يوم وتسجل في قصاصتين من الورق ، يحتفظ الشخص الذي أغلق الخزانة بإحداها ، ويحتفظ الشاهد بالأخرى .

واستطرد "**بيرك**" قائلا وهو يقدم لي مفتاحين نحاسيين :

– وبهذه المناسبة .. إليك مفتاحي المبنى ، هذا مفتاح الباب الأمامي .. وهذا مفتاح الباب الخلفي .

وانتقلنا إلى القبو حيث توجد الخزانة .. وهناك قدم لي "**بيرك**" مفتاح الساعة وقال :

– دعنا نضبط الساعة بحيث لا تفتح الخزانة قبل الساعة التاسعة والربع .. أي أنها ستظل مغلقة 16 ساعة و 15 دقيقة .

فوضعت المفتاح في ثقب بالقرص الأول تحت الساعة، وحركته حتى وصلت العقارب إلى الساعة 16 و 15 دقيقة، ثم نزعت المفتاح من الثقب، وحركت مقبض باب الخزانة إلى أسفل ليتم غلقها، ثم سجلت الوقت في الدفتر المعد لذلك. ووقعت بالحروف الأولى من اسم "أ. س" وكذلك فعل "**بيرك**" . وقررت القيام بمغامرتي يوم الجمعة.. حتى يتهيأ لي الوقت الكافي للفرار. ذلك؛ لأن السرقة لن تكتشف قبل صباح يوم الاثنين. عندما يفتح البنك أبوابه بعد عطلة نهاية الأسبوع. كذلك قررت أن أعمل في البنك أقل وقت ممكن؛ حتى تقل فرص افتضاح أمري. ولذلك اتصلت تليفونيا بالسيد "**بيرك**" في الساعة التاسعة والربع من صباح الأربعاء. وقلت له بصوت أجش:

– إنني طريح الفراش يا سيد "**بيرك**"، وقد اشتدت عليّ وطأة الإنفلونزا .. أنا لا أريد الانقطاع عن عملي ولكن ما حيلتي؟

– أنا آسف يا سيد "**ستروبخ**" .. ماذا أستطيع عمله من أجلك؟

– لا شيء.. لقد نصحني الطبيب بالراحة التامة، وعدم استقبال الزائرين؛ وقاية لهم، لا لشخصي.. وسأحاول مباشرة العمل غدا، فإذا لم أستطع اتصلت بك تليفونيا.

– حسنًا يا سيد "**ستروبخ**" .. اعتن بنفسك، ولا تقلق بشأن العمل.

◆◆◆◆◆

وبعد هذا الحديث، اتصلت تليفونيا بالمطار، واستفسرت عن مواعيد إقلاع الطائرات للخارج، وقيل لي إن الطائرات لا تقلع فيما بين منتصف الليل والساعة السادسة صباحا، فحجزت مكانا باسمي الحقيقي للإقلاع في طائرة الساعة

السادسة من صباح يوم السبت، ثم غادرت الفندق، وابتعت حقيبة جلدية كبيرة. وفي صبيحة يوم الخميس. اتصلت بالسيد "**بيرك**" مرة أخرى، وقلت له إنني لازلت مريضا.. فأجاب:

– لا تتعجل مغادرة الفراش يا سيد "**سترونج**"... كل شيء هنا على ما يرام.. وقد تحدث السيد "**ريدنج**" أمس.. كان يريد الاتصال بك للاطمئنان على سير العمل.. ولما أبلغته بأنك مريض، قال إنه يريدك أن تتصل به عندما تعود إلى العمل.

◆◆◆◆◆

كان السيد "**بايرون ريدنج**" هو رئيس مجلس الإدارة، ولو أنني تلقيت مكالمته لافتضح أمري على الفور. قلت أحدث "**بيرك**":

– سأتصل به من غرفتي هنا. . إنني مريض، ولكن أستطيع التحدث بالتليفون. وفي صباح يوم الجمعة، اتصلت بالبنك مرة أخرى، وقلت لـ"**بيرك**":

– إنني أحسن حالا الآن. لازلت أشعر بدوار، ولكني سأحاول الخروج بعد الظهر.. فهل لك أن تنتظرني قبل موعد إغلاق البنك؟

– حسنا يا سيد "**سترونج**".. ولكن لا ضرورة للمجازفة بالخروج إذا كنت لا تزال متوعكا..

– أنا واثق بأنني أحسن حالا. وذهبت إلى البنك قبيل الساعة الثالثة، وتبعني "**بيرك**" إلى مكتبي.

– هل أستطيع الحصول على قدح ماء؟ فقد آن لي أن أتناول بعض الأقراص. فأحضر لي قدح ماء. ووضعت قرصا في فمي، وشربت الماء. قال:

– لقد اتصل السيد "**ريدنج**" مرة أخرى صباح اليوم، كذلك اتصل السيد "**نورمان براي**" منذ ساعة.. وقد قلت لهما إنك ستكون في البنك قبل الساعة الثالثة وستتصل بهما. ووجدت نفسي في مأزق، وكنت لا أزال في حيرة من أمري حين أشار "**بيرك**" إلى جهازي تليفون على مكتبي، قال:

– هذا الجهاز للاتصال الداخلي، وهذا للاتصالات الخارجية المباشرة.

– حسناً.. أرجو المعذرة.. سأتصل بهما الآن. فانسحب من الغرفة، وأغلق الباب وراءه. ولم أتصل بالرجلين بالتأكيد، ولكن ذلك أمر لم يعرفه "**بيرك**". وقضيت الوقت في مكتبي وأنا أتصبب عرقا؛ خوفا من أن يتصل بي أحد الرجلين مرة أخرى. وأزفت الساعة الخامسة، ولم يتصل أحد، فغادرت مكتبي ورأيت "**بيرك**" مقبلاً، وقال:

– لقد أعددت الرقم السري. وقدم إليّ قصاصة من الورق. عليها رقم.. فوضعت القصاصة في جيبي، وسرنا في الطريق إلى القبو. وعند باب القبو، توقفت عن السير، وقلت وأنا أخرج من جيبي قرص دواء:

– أظن أنه قد آن لي أن أتناول قرصا آخر.. هلا تفضلت عليّ بقدح ماء؟

– بالتأكيد.. بالتأكيد. وعاد مهرولا.. فأسرعت إلى الخزانة.. وضبطت عقارب القرص على الساعة 12. وأغلقت الخزانة.. وعندما عاد "**بيرك**"، وجدني أسجل في الدفتر أن الخزانة أغلقت في الساعة الخامسة، وستظل مغلقة طوال 64 ساعة و15 دقيقة؛ أي أنها لا يمكن أن تفتح قبل الساعة التاسعة و15 دقيقة من صباح يوم الاثنين.. ووقعت بالحروف الأولى من اسمي.. تناولت قدح الماء، ونظرت إلى "**بيرك**" من ركن عيني وأنا أبتلع القرص. فلاحظت أنه دهش؛ لأنني أغلقت الخزانة، ولكنه وقع على السجل بالحروف الأولى من اسمه دون أن ينطق بكلمة.

قلت له ونحن نغادر القبو:

– طاب مساؤك يا سيد "**بيرك**"، وإلى اللقاء صباح الاثنين.



كان الشارع مقفرا تماما عندما عدت إلى البنك في منتصف الليل، ودخلت من الباب الخلفي والحقيبة الجلدية في يدي. وغادرت البنك بعد ربع الساعة، والحقيبة مملوءة من أوراق النقد من فئة خمسة دولارات أو أكثر. لم يكن لدي متسع من الوقت لحصر المبلغ، ولكني قدرته بما لا يقل عن مائتي ألف دولار.

وعندما عدت إلى غرفتي في الفندق، اتصلت تليفونيا بإحدى شركات سيارات الأجرة، وطلبت موافاتي بسيارة تذهب بي إلى المطار في الساعة الخامسة والنصف. وقضيت الوقت حتى الصباح في إحصاء النقود.. كان مجموعها يزيد قليلا على مائتين وثلاثين ألفا من الدولارات. وما إن أغلقت الحقيبة، حتى سمعت طرقا على الباب. أخفيت الحقيبة تحت الفراش، وفتحت الباب ورأيت أمامي رجلين لا أعرفهما . سألني أطولهما قامة:

– هل أنت السيد "**أرنولد سترونج**"..؟

– نعم. فأخرج من جيبه بطاقة شخصية لوح بها أمامي ودخل الغرفة. وتبعه زميله.

– ما معنى هذا..؟

– ماذا جعلك تعتقد أنك تستطيع الإفلات يا سيد "**سترونج**"..؟ لولا المائة ألف دولار التي اختلستها أخيراً لما استطاع رئيس الحسابات أن يكتشف المائة ألف الأولى.. لابد أنك لم تتوقع أن اختلاس المائة ألف دولار الثانية من حساب أحد العملاء بمقتضى شيك يحمل توقيعا مزورا لذلك العميل سيكتشف بهذه السرعة، ولكن من سوء حظك أن العميل طلب بيانا عن رصيده فاكتشف التزوير والاختلاس، مما حمل رئيس الحسابات على مراجعة جميع الأرصدة.. وكانت النتيجة أنه اكتشف اختلاسا سابقا بمائتي ألف دولار أخرى.. لماذا لم تسرع بالفرار إلى خارج البلاد يا سيد "**سترونج**"..؟ فذهلت، وألجمتني الدهشة. إذن أنا لست المختلس لأموال بنك "**فوستر**"..؟ لا عجب إذا كان "**أرنولد**" قد استاء من نقله من البنك.. أكبر الظن أن زيارته لنادي الثلاثين لم تكن الأولى، وأنه حين علم بأمر نقله، اختلس المائة ألف دولار الثانية وعوّل على الفرار إلى خارج البلاد. لا شك في أنه لم يكن يستعد لرحلة لصيد السمك... وإنما كان يستعد للفرار.. لماذا لم أفتش أمتعته..؟ لو أنني فعلت لعثرت على المائة ألف دولار..



قلت بصوت أجش:

– الواقع أني لست "**أرنولد ستروبخ**" .. أنا "**ملفن هول**" شقيق زوجته. فقال الرجل ساخرا وهو يضع الأصفاد في يدي:

– أحقًا؟! إذن أين "**أرنولد ستروبخ**"؟

فقلت لنفسي: « آه! هذه قصة أخرى. ».

رجل شديد الحذر

كان مطعم "**روسيتي**" من أرقى المطاعم وأغلاها في الحي الشرقي. دخل "**لي كوستا**" المطعم، ونظر حوله، وحاول أن يتخيل ما كان عليه المطعم في عهد صاحبه السابق "**واكسمان**" البدين.. لقد عمل "**كوستا**" في هذا المطعم وهو صبي حين كان "**واكسمان**" يحتضن عددا من الفتيان، ويدربهم على الجانب غير المشروع من نشاطه.. وكان "**كوستا**" من أذكى أولئك الفتيان. وطالما تنبأ له "**واكسمان**" بمستقبل عظيم.. لو أن "**واكسمان**" رآه الآن – فتى متورد الوجنتين، عريض الكتفين، مفتول العضلات، له عينان كعيني الصقر – لعرف أن "**كوستا**" كان عند حسن ظنه به. وجد "**كوستا**" بعد أن أجال البصر حوله لحظة أن نظام المطعم لم يطرأ عليه تغيير يذكر ، فلا زال المشرب يمتد على طول الجدار الأمامي ، ولازالت الموائد على الجانبين، وحلبة الرقص في الوسط، وغرفة المعاطف والقبعات إلى يمين الداخل. اقترب "**كوستا**" من مكتب حجز الموائد، وقال للموظف:

– أريد مقابلة "**جو روسيتي**".

– أي اسم أذكر له؟

– قل له مندوب شركة التأمين.

– ألا أذكر له اسما..؟

– قل له مندوب شركة التأمين وسيفهم.

– انتظر في المشرب إذا شئت. فاتجه "**كوستا**" إلى غرفة الملابس؛ ليترك معطفه، وعندما استدار ليذهب إلى المشرب وجد خادما ضخم الجسم من خدم المطعم يسد عليه الطريق.

– تعال.. سأذهب بك إلى "**روسيتي**". ورافقه إلى مصعد قديم في ركن المكان.

◆◆◆◆◆

كان "**روسيتي**" يقيم في شقة بالطابق الرابع، فضغط الرجل البدين زرا، ففُتح الباب وسار الرجلان إلى غرفة فسيحة تحتل الجانب المطل على الشارع، ووجدا في انتظارهما بباب الغرفة رجلاً قصير القامة، ممتلئ الجسم، ونظر الرجل إلى "**كوستا**" متسائلاً وقال بلهجة تنم عن أصله الإيطالي:

– أنا "**جو روسيتي**". ولم يتناول اليد التي مدها إليه "**كوستا**" واستمر يصعد الزائر بعينيه وهو مقطب الجبين وأخيرا قال:

– إنك أصغر مما توقعت.. تعال واجلس. ونظر إلى الرجل البدين وقال:

– اجلس أنت أيضا يا "**زيجي**".. وتنحى عن الباب، وأفسح لهما الطريق إلى داخل الغرفة، ثم قال يحدث امرأة عجوزاً تعمل بإبرتها في أحد أركان الغرفة:

– دعيني أقدم لك "**لي كوستا**" يا "**هيلين**".. فرفعت المرأة رأسها وتعلقت عيناها بعيني "**كوستا**" لحظة، ثم تنهدت وقالت:

– أهذا هو..؟ فأومأ "**روسيتي**" برأسه علامة الإيجاب. ونظرت المرأة مرة أخرى وجمعت حوائجها، وقالت لزوجها وهي تنهض:

– باشر عملك وسنتناول الطعام بعد ذلك. وغادرت الغرفة. وظل "**زيجي**" واقفا ينظر إلى "**كوستا**"، ثم قال يحدث "**روسيتي**":

– هل يضايقك هذا الرجل..؟ فهز "**روسيتي**" رأسه سلبا.. بينما لمعت عينا "**كوستا**" فجأة، وقال:

– هب أنني أضايقه.. فماذا ستفعل..؟ فأجاب "**زيجي**" وهو يخطو نحوه:

– ألقي بك إلى الخارج. فتحول "**كوستا**" إلى "**روسيتي**" وقال:

– يحسن بك أن تشد وثاق هذا القرد. ونظر إلى "**زيجي**" وقال في هدوء:

– إلى الوراء أيها البدين. ولكن "**زيجي**" انقض عليه وبأسرع من لمح البصر ركله "**كوستا**" في بطنه ركلة جعلته ينثني إلى الأمام، ثم عاجله بلكمة طرحته أرضا، وقال:

– معذرة يا سيد "**روسيتي**" .. إنه كان البادئ.. فنظر "**روسيتي**" إلى الرجل الممدد على الأرض، وقال:

– بهذه السرعة..؟

فقال "**كوستا**":

– إنك تجيد عملك يا سيد "**روسيتي**" .. وأنا أيضا أجيد عملي.

– سوف يقتلك. فهز "**كوستا**" رأسه وأجاب:

– لا.. لن يفعل.. إنه سيعود الآن إلى المطعم؛ ليتعامل مع السكارى.. أليس كذلك يا "**زيجي**" ..؟ فتأوه الرجل، ورفع رأسه كالسلحفاة الجريح.. ونظر إلى وجه "**كوستا**" الباسم.. قال هذا:

– إنني ترفقت بك هذه المرة، ولكني لن أفعل ذلك في المرة القادمة.. فتذكر هذا. فوقف الرجل مترنحا، وغادر الغرفة دون أن ينطق بكلمة. قال "**كوستا**":

– لماذا سمحت له بالبقاء هنا يا سيد "**روسيتي**" ..؟

– كنت خائفا.

– مني..؟ لا ضرورة لأن تخشاني، إنني رجل محترف، ولا أفعل سوى ما تقاضيت أجرا عنه.. ولا شيء أكثر منه. فاعتدل "**روسيتي**" في مقعده، وقال "**كوستا**":

– والآن .. ما خطبك..؟ قال لي صديقنا المشترك إن لديك مشكلة.

– نعم.. لديّ مشكلة، ولذلك أرسلت في طلبك.

– من الذي أثار هذه المشكلة..؟ اذكر لي اسمه يا سيد "**روسيتي**"؟

– رجل يدعى "**باكستر**" .. "**روي باكستر**".

– أليس من سبيل آخر لحسم المشكلة..؟

– يوجد سبيل آخر.. هو أن أدفع.. وأنا على استعداد.

– إن الدفع لا يحسم الأمور في مسائل الابتزاز .

– هل تعرف الموضوع..؟

– لا أعرف أكثر مما ذكره لي صديقنا المشترك. قال إن شخصا يريد أن يبتز منك مبلغا من المال. فظهرت على وجه "**روسيتي**" دلائل التردد. قال "**كوستا**":

– تكلم يا سيد "**روسيتي**".. في استطاعتك أن تثق بي. فقال "**روسيتي**" وهو يشيح بوجهه:

– منذ سنوات عديدة قتلت رجلا.. وقد علم "**باكستر**" بالأمر وهو الآن يطلب ثمن سكوته. أنا أعرف "**باكستر**" وأعلم أنه لن يقف عند حد.. وسوف يعاود الكرة إذا أنا أعطيته ما يطلب.. لذلك اتصلت بصديقنا. وكنت قد أسديته معروفا، فرد الصنيع بأن أرسلك إليّ.

– هل قلت لزوجتك..؟

– إنها تعرف كل شيء.. ولكنها امرأة كتوم.

– هل يعلم أي إنسان آخر لماذا أرسلت في طلبي..؟

– لا.. لا يعلم ذلك أحد سواي أنا وزوجتي وصديقنا. ثم أخرج من درج مكتبه ورقة، وقال:

– إليك عنوان "**باكستر**" في بيته وعمله.. وصورة له. فنظر "**كوستا**" إلى الورقة وسأل:

– ما عمله..؟

– إنه محام. أو أن هذا ما يزعمه، ولا أعلم من أين يحصل على المال، ولكن المعروف عنه أنه ثري.

– إذن لماذا يريد مالك..؟

– لا أعلم.. ربما لأن نفقاته كثيرة.

-أنا أيضا نفقاتي كثيرة.

– أعلم ذلك.. وأنا على استعداد للدفع. فقال "**كوستا**" وهو يبتسم:

– طلب صديقنا أن أتعامل معك بسعر الجملة.. هل تستطيع أن تدفع خمسة آلاف دولار..؟

– نعم.. فهذا المبلغ لا يكاد يذكر بالقياس إلى ما يطلبه "**باكستر**".

– ما المهلة التي منحك إياها؟

– قال إنه سيمهلني أسبوعين لإعداد مبلغ خمسة وعشرين ألف دولار، فإذا لم أدفع هذا المبلغ خلال هذه الفترة، فإنه سيذهب إلى البوليس. فقال "**كوستا**" وهو يضع الورقة في جيبه:

– سأبحث الأمر، وأتصل بك.. فنظر إليه "**روسيتي**" متوسلا، وقال:

– أرجوك أن تفعل.

– إنني رجل شديد الحذر يا سيد "**روسيتي**".. سأبحث الأمر من جميع وجوهه ثم أتصل بك.. ورأى على الموقد نموذجا مصغرا لزورق لصيد السمك فقال:

– إنك متوتر الأعصاب.. لماذا لا تذهب لقضاء بضعة أيام في صيد السمك..؟ فقلب "**روسيتي**" شفته وأجاب:

– أنا..؟ لقد كنت أذهب مع زوجتي لصيد السمك في نهاية الأسبوع طوال الصيف.. إننا نملك زورقا صغيرا.. وكنا نعيش في هدوء.. ندير المطعم، ونذهب للصيد.. وفجأة جاءت المكالمة التليفونية من "**باكستر**".. فأصبحت لا أصيد السمك، ولا أدير المطعم، ولا أفعل شيئًا سوى التفكير في همومي.

– سأفعل كل ما أستطيع يا سيد "**روسيتي**".. وأرجو أن تعود قريبا إلى صيد السمك.. وغادر "**كوستا**" الغرفة.. ومر في طريقه بزوجة "**روسيتي**" وابتسم لها محييا. وتبعته المرأة ببصرها، ورأته يهم بالانصراف، فسألته:

– هل تناولت عشاءك..؟

– ليس بعد..

– دعنا نتناول العشاء في المطعم. ثم نادت على زوجها وسألته:

– ألا تأتي معنا..؟

– نعم. لن آتي.. سأنام.. فاذهبي أنت... وتناولت "**هيلين**" و"**كوستا**" العشاء في المطعم، ولم تتكلم المرأة إلا قليلا.. إلى أن حمل إليهما الخادم القهوة.. وحينئذ نظرت المرأة إلى "**كوستا**"، وقالت:

– إنه لأمر محزن.. إن زوجي خائف جداً.

– وأنت..؟

– أنا..؟ لا.. أنا لست خائفة.. لابد مما ليس منه بد.. إن الإنسان عليه أن يناضل طول حياته.

– لا تنزعجي.. سأكون حذرا جداً.

– نعم.. لابد من الحذر الشديد.

ونهض فسألته:

– هل لديك معطف..؟

– نعم، في غرفة الثياب.

– التف به جيدا.. وحذار من البرد. وشيعته بعينيها السوداوين حتى غادر المطعم. وبدأ "**كوستا**" عمله في صباح اليوم التالي، وجد مكتب "**باكستر**" في مبنى بالشارع "السادس والخمسين" بالحي الغربي وعندما وصل إلى ذلك المبنى، كانت الساعة لم تبلغ التاسعة بعد، فاندس بين زحام الموظفين الذين يعملون في شتى المكاتب والشركات التي تشغل المبنى، وصعد إلى الطابق الحادي عشر حيث يوجد مكتب "**باكستر**"، ولم يعجبه موقعه، فالمكان لا يصلح بتاتا لارتكاب جريمة قتل، مع وجود المصاعد الدائبة الحركة، وازدحام طوابق المبنى بالموظفين والخدم وأصحاب الأعمال. ولكنه استطاع أن يرى "**باكستر**" عندما دخل مكتبه في الساعة التاسعة والنصف. رآه رجلا قصير القامة نحيل الجسم، يطبق بشفتيه على بقايا سيجار.. وانتظر "**كوستا**" بضع دقائق، ثم دخل وقدم إلى سكرتير "**باكستر**" بطاقة

تدل على أنه مندوب شركة لبيع أثاثات المكاتب.. ثم انصرف في هدوء وأدب عندما قال له السكرتير إن السيد "**باكستر**" راضٍ عن أثاث مكتبه، ولا يرغب في استبداله. وكانت النظرة التي ألقاها داخل المكتب كافية لإقناعه بأن المكان لا يصلح لتنفيذ مهمته.



وبعد ظهر ذلك اليوم ، استأجر "**كوستا**" سيارة انطلق بها إلى "**كونتيكات**" ، وقصد إلى مكتب سمسار بالقرب من العنوان الثاني لـ"**باكستر**" وأفهم السمسار أنه يريد شراء منزل في المنطقة فرحب به. وطاف معه ببعض البيوت.. وأبدى "**كوستا**" اهتماما خاصا ببيت مجاور لبيت "**باكستر**".. ومن حسن الحظ أن هذا البيت كان خاليا، فتفقده "**كوستا**" بعناية، واستطاع أن يلم ضمنا ببعض الحقائق عن بيت "**باكستر**".. كان هذا البيت .. هو الأخير بين ستة بيوت متشابهة تطل على الخليج.. وكان يحيط به من جميع الجوانب سور مرتفع، وله باب حديدي ضخم، تتدلى منه لوحة كتب عليها بحروف كبيرة: «احذر الكلب».. وفي مقدمة الفناء الذي يقع وراء الباب، كان يربض كلب ضخم يحدث بنباحه جلبة شديدة..



وقضى "**كوستا**" في مكتب السمسار نحو ساعة، أكد له خلالها أنه سيعود بزوجته في اليوم التالي لشراء البيت الذي حاز إعجابه.. ثم سأله عن جيرانه، فراح السمسار يحدثه عنهم بإسهاب، وكان مما قاله عن "**باكستر**" إنه أرمل هادئ الطباع، يعيش وحده في البيت، ويقوم على خدمته رجل سويدي عجوز ومعه زوجته.. وإن الزوجين يبيتان في المدينة.



وحوالي الساعة السادسة، عاد "**كوستا**" إلى بيت "**روسيتي**" ووجد هذا الأخير جالسا أمام مكتبه في انتظاره بينما جلست زوجته في ركنها المألوف، وانصرفت إلى التطريز كالعادة.

قال "**روسيتي**":

– ها هي زوجتي.. إنك طلبت في مكالمتك التليفونية أن تشركها معنا في الحديث.. أليس كذلك..؟ فنظر "**كوستا**" إلى المرأة، ثم ارتد بصره إلى الرجل، وقال:

– الواقع أنني أردت أن أتحدث إليكما معا.. إن المهمة ممكنة التنفيذ، ولكني أحتاج إلى شيء واحد.

– ماهو..؟

– أحتاج إلى معونة. فانحنى "**روسيتي**" إلى الأمام، وقال:

– هل معنى ذلك أنك لا تريد تنفيذها..؟

– بل أعني أنني لن أنفذها بدون معونة منكما معا. فطوت المرأة قطعة القماش التي كانت تعمل فيها، ورفعت رأسها، وقالت:

– أريد أن أفهم. فقال "**كوستا**":

– إن المكتب لا يصلح لتنفيذ المهمة.. فالمبنى مليء من الحركة حافل بالناس؛ ولذلك أفضل البيت، ولكني لا أستطيع أن أذهب إليه بالسيارة.

– إذن...؟

– سنذهب نحن الثلاثة بالزورق لصيد السمك في نهاية الأسبوع. وسأخبرك أين ترسو.. ريثما أقوم أنا بالتنفيذ وبذلك تصبحان شريكين في الجريمة.. وهكذا أضمن سكوتكما في المستقبل. فتحوَّل "**روسيتي**" إلى زوجته وسألها:

– ما رأيك..؟ فنظرت المرأة إلى "**كوستا**" طويلا، ثم تنهدت وأطرقت برأسها، وقالت لزوجها:

– لا بأس.. أظن أننا يجب أن نفعل ما يريد.. وأنا لا ألومه على حذره.

فالتفت "**روسيتي**" إلى "**كوستا**"، وقال:

– حسناً.. لك ما تريد.. فليس لنا خيار..

– اتفقنا.

– والآن ماذا يجب أن نفعل..؟ فأجاب "**كوستا**":

– اذهب إلى المرسى في صباح يوم السبت، واملأ خزان الزورق من الوقود.. وسأعرف كيف أنضم إليكما في الزورق دون أن يراني أحد.. وبعد ذلك سأخبرك إلى أين تذهب. قال ذلك ونهض لينصرف، فقالت له المرأة:

– التف بمعطفك جيداً وحذار من البرد.



وفي صباح يوم السبت التالي، كمن "**كوستا**" في المرفأ وسط حشد كبير من هواة الصيد ومحترفيه.. ورأى "**روسيتي**" وزوجته يجتازان الجسر الموصل إلى زورقهما.. فانتظر حتى أيقن أنهما تزودا بالوقود الكافي، ثم تسلل إلى الزورق دون أن يلحظه أحد.. وبعد لحظات، تحرك القارب في الطريق إلى شاطئ "**كونتيكات**".. وتولى "**روسيتي**" أمر السكان (الدفة)، بينما انصرفت زوجته إلى التطريز.

وحوالي الساعة الثالثة، ألقى الزورق مرساه عند اللسان الممتد داخل الماء والذي شيد بيت "**باكستر**" فوقه، وقال "**روسيتي**" وهو متوتر الأعصاب:

– والآن.. ماذا سنفعل؟ فأجاب "**كوستا**":

– سنأكل ونصيد السمك، ونلهو. فسألته المرأة:

– هل أنت جائع..؟

– قليلاً.

– حسناً، سأعد الطعام.. وفي استطاعتكما أن تجربا حظكما في الصيد.



وحوالي الساعة السادسة، دعتهما لتناول الطعام. ولكن "**روسيتي**" كان متوتر الأعصاب، فلم يتناول من الطعام إلا القليل، وظل طول الوقت يختلس النظرات إلى "**كوستا**" . أما الزوجة فإنها راحت تقدم إليهما الصحاف في صمت. وبعد الطعام ، انحنى "**كوستا**" فوق حاجز الزورق وراح ينظر إلى الماء.. ولا يحول رأسه يمنة أو يسرة. وظل على هذه الحال قرابة نصف الساعة، وعندما استدار، وجد عيني "**روسيتي**" ترقبانه عن كثب.

– سأسبح في الماء قليلا.

فمدت المرأة أصابعها النحيلة، وربتت بها كتفه، وقالت:

– كن على حذر.

فابتسم وأجاب:

– إنني رجل شديد الحذر.



وكان الليل قد أرخى سدوله عندما وقف "**كوستا**" على سطح الزورق مرتديا ثوبا من المطاط مما يستخدم في السباحة تحت الماء. وكان يمسك بيده حقيبة من البلاستيك، فلم يلبث أن شدها إلى حزامه، ثم انزلق إلى الماء في هدوء، واختفى في الأعماق. وبعد نحو عشرين دقيقة ظهر أمام بيت "**باكستر**" ، وخرج إلى الشاطئ في هدوء، وسار متسللاً حتى وصل إلى الباب. وهناك أخرج من حقيبته البلاستيك قطعة من اللحم وقذف بها إلى فناء البيت. وما كاد يفعل ذلك حتى انطلق الكلب كالسهم.. وانقض على الباب وهو ينبح بشدة.. فتراجع "**كوستا**" وتسلل إلى الماء، وسبح بسرعة حتى ابتعد عن البيت وحجبه الظلام. وهناك أطل برأسه فوق الماء؛ ليرقب ما يحدث. واستمر الكلب ينبح ويهز الباب الحديدي بقوة إلى أن فُتح باب داخلي في آخر الفناء وخرج منه "**باكستر**" في ثياب النوم وبيده مصباح كهربي. فطاف بجدران السور وبحث في الفناء.. ثم أمر الكلب بالسكوت وعاد من حيث أتى... وظل "**كوستا**" في

مكانه لا يتحـرك إلى أن رأى الكلب يتراجع ويبحث في الأرض عن شيء.. وبعد قليل سمع أنينا خافتاً. ثم انقطع الأنين وساد الصمت.



ومرت بضع دقائق أخرى، ثم خرج "**كوستا**" من الماء في هدوء واقترب من الباب، ورأى الكلب ممددا على الأرض لا يبدي حراكا، ويبدو أنه لفظ أنفاسه حالما استقرت قطعة اللحم في جوفه. وفي بطء وهدوء، تسلق "**كوستا**" السور وهبط في فناء البيت، ووجد نافذة مفتوحة، فتسلل منها إلى الداخل وبعد دقيقتين كان يتسلل إلى مخدع "**باكستر**" وكان هذا الأخير يغط في نومه.. فاقترب منه "**كوستا**" وأطبق بيديه القويتين على عنقه.

◆◆◆◆◆

ولما سكنت حركة "**باكستر**" تماما، خلع "**كوستا**" قفازه وجس نبضه وتحقق من موته. وعاد "**كوستا**" أدراجه إلى القارب ورأى "**روسيتي**" وزوجته يطلان من فوق الحاجز، ويترقبان عودته.

و أبصر به "**روسيتي**" وهتف بصوت خافت:

– أهذا أنت يا "**كوستا**"؟

– نعم. ووقف "**كوستا**" على سطح الزورق والماء يتساقط حوله فسألته المرأة:

– هل صادفتك عقبات..؟

– لا.

– إذن أسرع واخلع هذه الملابس قبل أن يقتلك البرد. فهبط "**كوستا**" إلى قاع الزورق، واستبدل ثيابه، وصعد إلى سطح الزورق مرة أخرى، وهناك وجد المرأة في مقعدها تطرز. بينما راح زوجها يعالج زجاجة من الشراب المعتق. قال "**روسيتي**" وهو يبتسم:

– تعال يا "**كوستا**" .. يجب أن نشرب نخب نجاحنا. وملأ ثلاث كؤوس.. وشرب الثلاثة ولم تكف المرأة طول الوقت عن التفرس في وجه "**كوستا**" وأخيراً سألته:

– هل أنت واثق بأن كل شيء على ما يرام..؟

– كل شيء على مايرام.. لا أحد رآني، ولا أحد يعلم أنني هنا، ولا أحد سوانا يعلم بما حدث.

– هل أطلقت عليه الرصاص..؟

– لا.. أنا لا أستخدم الأسلحة.. يكفيني هذه. ومد أصابعه القوية إلى الأمام. ونهض "**روسيتي**" وهو يقول:

– أنا متعب.. أريد أن أنام. فقالت المرأة:

– أتمنى لك نوما هادئًا. ثم التفتت إلى "**كوستا**"، وقالت:

– وأنت أيضا يا "**كوستا**" .. إنك بحاجة إلى الراحة. فنهض "**كوستا**" وتمطى، وقال لها وهو يبتسم:

– إنها ليلة جميلة.. أليست كذلك..؟ فقالت المرأة وهي تخرج من تحت الثوب الذي تطرزه مسدسًا صغيرا:

– بلى، إنها ليلة جميلة.

وأطلقت عليه الرصاص مرتين.. في موضع القلب، فترنح الشاب وانقلب من فوق الحاجز، وسقط في الماء. وأطلت المرأة من فوق الحاجز والمسدس لا يزال في يدها، وراقبت الجثة حتى غاصت في الماء. وحينئذ أطل "**روسيتي**" برأسه من باب غرفته وسأل:

– ماذا صنعت يا "**هيلين**" ..؟ فأجابت وهي تلقي بالمسدس في الماء:

– لا شيء.. انتهى الأمر .. اذهب إلى فراشك، وتدفأ جيدا.. وحذار من البرد.



- 124 -

هدية خاصة جدًّا

أحس القس "**كنيث كالنج**" بالحرج والارتباك وهو يتناول قدح الشاي من يد "**كلارا ديفوريست**" .. لقد وجد من واجبه أن يواسي هذه السيدة التي تعد من أخلص رعايا كنيسته.. ولكن ماذا يقول لها؟ لم تكن هناك تقاليد معينة يستطيع اتباعها للتعبير عن عطفه على هذه السيدة في نكبتها. لقد رحل زوجها.. ولكنه رحل برضائه على متن إحدى الطائرات إلى "**المكسيك**"، وليس على أكف الملائكة إلى السماء.. أو أن ذلك على الأقل ما تناقلته الشائعات. قالت الشائعات إنه سحب من البنك كل حسابه المشترك مع زوجته، كما استولى على أثمن جواهر زوجته، ثم فر مع إحدى الشقراوات، ولكن "**كلارا**" لم تقصد لهذه الشائعات بالنفي أو بالتأييد، وقالت في تواضع وإيمان إنها تفضل الرضا بما قسم لها والصفح عن غدر زوجها.. كان زواجها بـ "**جيسون ديفوريست**" – وهو أصغر منها بعشرين عامًا – مقضيا عليه بالفشل منذ البداية... وها هو قد فشل وانتهى الأمر.



وقد شعر القس بارتياح شديد حين لاحظ أن الصدمة لم تفقدها هدوءها ومرحها وسرعة بديهتها. قال لها:

– يسرني أن أراك في خير حال.

– أنا فعلا في أحسن حال.. شكرا لك.

– ألست بحاجة إلى شيء..؟ هل من خدمة أؤديها لك..؟

– إنني أقدر كرمك وأؤكد لك أنني لا أحتاج إلى شيء.

– إن شجاعتك وقوة إرادتك في مواجهة النكبة تثيران الإعجاب حقًّا.. أية امرأة أخرى في مثل مركزك كان يمكن أن تنهار وتستسلم للحزن والبكاء.

– ولماذا أبكي..؟ الواقع أنني لست آسفة على شيء.. لقد هجرني

"**جيسون**"، وأنا سعيدة بالتخلص منه.

– ألا تشعرين بالغضب أو السخط..؟ إن لهما في الواقع ما يبررهما. ونظر إليها بحدة. كان يهمه أن يراها حزينة باكية، أو ساخطة غاضبة؛ لكي يواسيها ويرفه عنها، ويحاول بصلواته ونصائحه أن يطهر قلبها من أدران الحقد والضغينة.. ولكن يبدو أن قلب "**كلارا**" لم يكن بحاجة إلى التطهير.. أجابت:

– نعم.. إنني لا أشعر بشيء مما ذكرت. صحيح أن "**جيسون**" كان وغداً.. ولكنه كان وغداً ظريفًا وأنا لا أتمالك نفسي من الشعور نحوه بالامتنان والشكر.. فلقد منحني ثلاث سنوات رائعة ليس من حق امرأة في مثل سني أن تتوقعها. فألهبت كلماتها خيال القس على نحو لا يليق به كرجل دين، ولا بها كامرأة في الخمسين.. ولم يسعه وهو يسبح في عالم الخيال إلا أن يعترف بأن لمضيفته ساقين جميلتين حقًّا. قالت:

– على العكس. إنني كنت أتوقع السعادة وقد ظفرت بها.. والحقيقة أنني ما كنت لأتزوج "**جيسون**" لأي سبب آخر، فقد كان فقيرا معدما، ووغدا ميت الضمير، وغبيا إلى أبعد الحدود، وساذجًا إلى حد يدعو إلى الرثاء حتى في محاولاته لقتلي. فارتسم الهلع في وجه القس وصاح:

– تقولين إنه حاول قتلك..؟

– حاول قتلي مرتين.. الأولى: حين وضع مادة سامة في قدح حليب (لبن) قدمه إليَّ في الفراش، والثانية: حين دس السم في دواء أتناوله.. لقد استعمل الطريقة نفسها كما ترى.. وهذا يدلك على أنه – مثل غيره من الشباب الأغبياء – يفتقر إلى الخيال.

– ولكن.. لا شك في أنك أبلغت البوليس عن هاتين المحاولتين..

– لا.. ما الفائدة..؟ لو أنني فعلت ذلك لدمرت الصلة بيننا تدميرا تاما.. وهي صلة كنت لا أزال أجد فيها كثيرا من المتعة.

– هل تعنين أنك لم تفعلي شيئًا على الإطلاق..؟ فأجابت وعلى شفتيها

ابتسامة رقيقة:

- بل فعلت .. أفهمته أنني تصرفت في ثروتي بطريقة تمنعه من قتلي للاستيلاء عليها.. ولما وجد أنه لن يفيد من موتي.. لم يحاول أن يتعجل أمرا لابد أن يحدث يوما ما... المهم أنه اضطرب وارتبك كالأطفال حين أدرك أنني اكتشفت محاولاته.

- يا له من وحش..!

- وعندما وجد أنني حرمته من الدافع الذي يغريه بقتلي، شعر بأنه لم يعد هناك كذلك ما يحمله على البقاء معي... فذهب. وصمتت لحظة، ثم استطردت قائلة:

- الواقع أنني لست آسفة على شيء.. ولكني سأفتقده.. ولابد أن أحتفظ بشيء يحيي ذكراه.. إن ذاكرة الإنسان تضعف ويدركها الوهن كلما تقدم في السن لذلك لابد من الذكريات؛ لإحياء الماضي.

- إنه ذهب منذ أسبوع واحد.. ومن يدري فلعله يعود. فهزت **"كلارا"** رأسها ببطء، وقالت:

- لا.. لا أظنه سيعود.. لقد ترك رسالة قال فيها إنه ذهب إلى غير رجعة.. ثم إن الظروف التي اقترنت بفراره، لا تجعله يتوقع أن تقابل عودته بالترحيب... من سوء الحظ أنني أحرقت الرسالة في لحظة غضب... وكم يؤسفني الآن أنني فعلت ذلك.. كان يجب أن أحتفظ بها؛ لأعيد قراءتها بين وقت وآخر. وأشعر بأنه موجود بروحه وإن لم يكن موجودا بلحمه ودمه. فقال القس:

- الواقع أنك سيدة مدهشة يا سيدة **"ديفوريست"**. وفي هذه اللحظة دق جرس الباب الخارجي فنهضت **"كلارا"** وهي تقول:

- معذرة يا سيدي القس. وبعد قليل، سمعها تتحدث إلى شخص بالباب... فنظر حوله وهو لا يزال مفتونا بشخصية هذه المرأة الرائعة... ووقع بصره فوق المدفأة على آنية خُيِّل إليه أنه لم يرَ في حياته أجمل منها... وعادت **"كلارا"** بعد لحظات وبيدها لفافة صغيرة محزومة بخيط. وضعت اللفافة على المائدة،

وقالت وهي تجلس:

– إنه ساعي البريد.. هل تريد مزيدا من الشاي..؟

– لا.. شكرا لك.. لقد شربت كفايتي... كنت من لحظة أنظر بإعجاب إلى هذه الآنية التي فوق المدفأة... إنها آية في الجمال. فنظرت "**كلارا**" إلى الآنية طويلاً، وقالت:

– أحقًّا؟ لقد أحضرها لي أخي "**كاسبار**" عندما جاء لزيارتي في الأسبوع الماضي.

– سمعت أن أخاك جاء لزيارتك... إنه لعزاء جميل للإنسان أن يجد أحباءه حوله في ساعة الشدة.

– نعم، لقد جاء "**كاسبار**" على عجل حينما أنبأته تليفونيا بأن "**جيسون**" هجرني. ولكن لم يكن ثمة ما يدعو إلى قدومه؛ لأنني لم أكن في مأزق أو شدة بل كنت في الواقع في خير حال. ومهما يكن من أمر فإنه لم يمكث هنا سوى ليلة واحدة. ورحل في صباح اليوم التالي.

– لم يكن لي قط شرف التعرف إلى أخيك.. هل يقيم بعيدا..؟

– على مسافة 300 كم من هنا. وصناعته خزاف وهو الذي صنع هذه الآنية التي أثارت إعجابك.

– أحقًّا..؟ إنها تحفة رائعة.

– الواقع أن الخزافة فن أكثر منها صناعة، وقد طورها "**كاسبار**" حتى جعلها تجارة. إنه بدأ منذ بضع سنوات بحانوت صغير يبيع فيه منتجاته... ولكن الإقبال كان عظيما إلى حد أرغمه على التوسع... وهو الآن يورد منتجاته إلى جميع المتاجر الكبرى في جميع المدن.

– لابد أنه مشغول جداً.

– هذا صحيح... ولذلك عجل بالعودة في الأسبوع الماضي؛ لإتمام كمية من الأواني طلبت منه على وجه السرعة.. إنه دقيق جداً في عمله... ويصنع أوانيه بنفسه... ولذلك فإن إنتاجه محدود.

– إنني لا أعرف الكثير عن صناعة الخزف، وأظن أنني يجب أن أقرأ المزيد عنها.

– إنها صناعة مثيرة ومسلية... هل تعلم أن الآنية تخبز قبل تلميعها في أفران تربو درجة حرارتها على 1200 درجة مئوية..؟

– يا إلهي...!

– ولكن النتيجة تدعو إلى الإعجاب كما ترى... إن هذه الآنية أصغر من أن تصلح للأزهار، ولكني سأحتفظ بها لشيء خاص جدًّا. وكان الحديث عن ارتفاع درجة حرارة أفران الخزف قد ذكر القس بنار جهنم، وهو أمر لا يطيب له التفكير فيه، ولهذلك نهض واقفا واستأذن في الانصراف وشكرته "**كلارا**" على الزيارة ورافقته إلى الباب.. وشيعته ببصرها حتى توارى، ثم أغلقت الباب وعادت إلى الغرفة وتناولت اللفافة التي كانت قد وضعتها على المائدة... وتأملتها وارتسمت على وجهها دلائل الضيق. حقًّا إن "**كاسبار**" لا يطاق... جميل أن يكون الإنسان مقتصدا... أما أن يكون شحيحا إلى أن يبعث بشيء خطير وثمين كذلك الذي في اللفافة بالبريد العادي اقتصادا لبضعة بنسات، فأمر يثير الهلع والاشمئزاز في وقت واحد معا. إن موظفي البريد قلما يفتحون هذه اللفائف المرسلة بالبريد العادي؛ ولكن هب أن أحدهم فتح هذه اللفائف..! إن فتحها لا يحرجها ويحرج أخاها فحسب... ولكنه قد يؤدي إلى كارثة تودي بهما معا.. وتناولت آنية الخزف من فوق المدفأة، ووضعتها على المائدة. ثم فضت اللفافة وأفرغت الرماد الذي بها في داخل الآنية.

تمّت بعون الله